حياةُ العلّامة

أحمد تيمور باشا

(ذِكرياتٌ شخصيّة)

بقلم:

العلّامةِ محمّدِ بنِ عبدِ الرّزّاقِ بنِ محمّدٍ كُرد علي

رئيس المجمع العلمي بدمشق

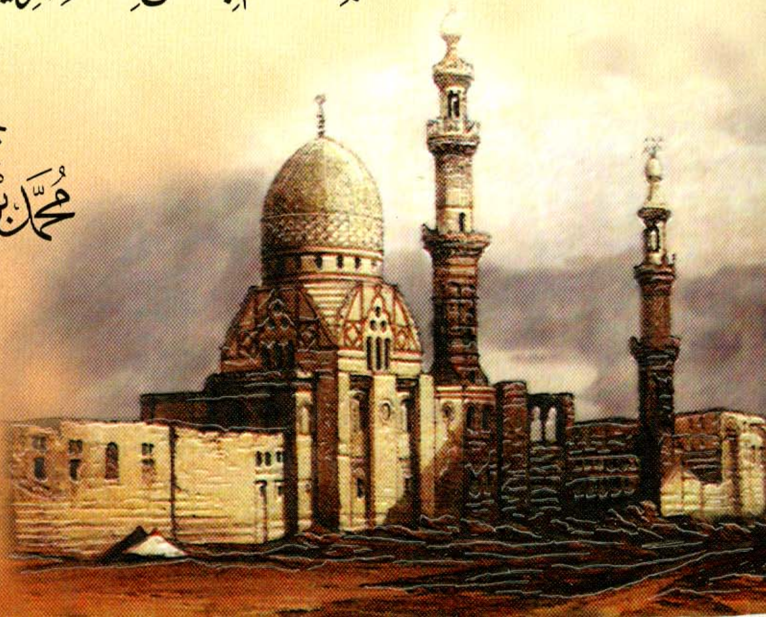
المتوفى سنة ١٣٧٢ هـ

ويليه

مقالاتٌ بأقلامِ بعضِ معاصِريه

جمعها واعتنى بها

محمّد بن ناصر العجمي



دار البشائر الإسلامية

حياة العلّامة

أحمد تيمور باشا

(ذكريات شخصيّة)

بقلم:

العلّامة محمّد بن عبد الرّزّاق بن محمّد كُرد علي

رئيس المجمع العلمي بدمشق

المتوفى سنة ١٣٧٢ هـ

ويليه

مقالاتٌ بأقلام بعض معاصريه

جمعها واعتنى بها

محمّد بن ناصر العجمي

دار البشائر الإسلاميّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّبعَة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

قامت بطباعته وإخراجه دار البشائر الإسلاميّة للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ٥٩٥٥ - ١٤ ويُطلب منها

المقـــدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين.

أما بعد:

فقد حفظتْ لنا كتب التراجم أخبار العلماء المغرمين بالكتب، والعناية بها، والاهتمام بشأنها، والحرص الأكيد على الحصول عليها، والشغف بكل ما له صلة بها؛ فهي حديثهم العاطر، وجليسهم المسامر، يغذون أرواحهم منها في كل وقت، ويقطفون من ثمارها التي لا تنتهي. وإن من أولئك الذين كان لهم غرام بالكتب وفرح بالحصول عليها: العلاَّمة الجليل والأديب اللغوي أحمد تيمور باشا، صاحب أعظم خزانة خاصة في القاهرة.

فقد انصرف ـ رحمه الله تعالى ـ في بدء حياته العلمية إلى جمع نفائس الكتب والمخطوطات، واستُجلبت له من شتى الأماكن، وكان يدفع أثمانها بسخاء، ويرى أن المال يذهب ويعود، وأن الكتاب النادر لا يعوض بالمال، ولهذا قصده تجار الكتب والوراقة، وكانوا يختصونه بأحسن الكتب والمخطوطات، وكان هو يختار منها الجيد، وينتقي أحسنها، فيضعه في مكتبته.

كما أنه ـــ رحمه الله تعالى ـــ قد وجه كل عنايته في تنظيم مكتبته، فرتبها أحسن ترتيب، وقسمها إلى عدة أقسام، وصنع لكل علم فهارس متنوعة. وكان لا يدخل في مكتبته كتاب إلا وقرأه، واحتفى به، وعرف مواطن النفع التي فيه. وقد جعلَ هذه المكتبة حقاً مشاعاً لكافة أهل العلم والباحثين، من الشرق والغرب، فلم يبخل بما فيها على أحد، كما أنه أوقفها ووقف عليها من المال ما يكفل لها البقاء، وقد يسر الله له ذلك حتى بعد مماته، ولا يزال الانتفاع بها مستمراً إلى اليوم، فرحمه الله رحمة واسعة.

كما كانت له مجالس علمية مشهودة مع أهل العلم والأدب، تعقد بداره في درب السعادة، بباب الخلق، أو قصره بالزمالك، أو في ذهبيته[١] في النيل. وقد شاركه في هذه الندوات التاريخية ثلة من أعلام القرن الماضي، كالعلاَّمة الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، ومحمود سامي باشا البارودي، وغيرهم من الأدباء والفضلاء.

وكان لا يمضي عليه أسبوع إلا وقد زاره أحد أعلام الباحثين في التراث من دمشق أو بغداد أو المغرب أو إحدى بلدان أوروبا، ينزلون في ضيافته، وينهلون من علمه وفضله، مستفيدين مما عنده من نوادر المخطوطات، ونفائس الكتب.

---

(١) يقول أنستانس الكرملي: «الذهبية: سفينة فيها كل مريحات المعيشة يأوي إليها المصريون في أيام الصيف ليتقوا فيها حرارته، والكلمة في نظرنا تخفيف ذهابية، أي سفينة يذهب بها على النيل». مجلة «لغة العرب» له: (٨/ ٤٨٤).

هذه بعض جوانب حياته العلمية، وأما ما كان يتحلى به من خلق طاهر، وفضل باهر، فإن كل من عرفوه أجمعوا على وصفه بخلق الحياء والصمت الدائم، والتواضع الجم، وحسن العشرة، ولطف الشمائل.

كما أن أسرته التي انحدر منها أسرة عريقة في الفضل والوجاهة واليسار، مما جعل العلاَّمة أحمد تيمور يعيش في بحبوحة من العيش، فكان له من المال ما يعينه على بسط يده في تحصيل الكتب والمخطوطات.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ عفيفاً عن حب المال مهيناً له، منفقاً منه في سبيل الله، معيناً للمعسرين والمحتاجين مع حرصه التَّام على إخفاء ذلك، فضلاً عن عطاياه لبعض أهل العلم والجمعيات الخيرية.

وخير من يصور لنا سيرته الحميدة وحياته العلمية؛ أصحابه الذين كانوا يغشون مجلسه وعاشروه وعرفوه عن قرب، فإنه لما توفي ـ رحمه الله تعالى ـ هرع جمع منهم إلى كتابة المقالات المحررة عن حياته وسيرته العلمية في المجلات والدوريات التي كانت تصدر في ذاك الوقت[1]، وقد وقفت على أكثرها، وانتقيت منها ثلاث مقالات لكبار معاصريه، ومحاضرة قيمة ألقاها العلاَّمة محمد كرد علي في ردهة

---

(١) مما ينبغي أن لا يفوت أهل العلم والفضل، أن هذه المجلات العلمية والأدبية كمجلة «الرسالة» للزيات، أو مجلة «المنار» للعلاَّمة محمد رشيد رضا، أو مجلة «الزهراء» و «الفتح» لمحب الدِّين الخطيب، وغيرها من المجلات، لا تخلوا من غوالي الفوائد والتراجم لبعض علماء القرن الماضي، والطرائف العلمية الكثيرة، وهذا بكل أسف قد لا ينتبه له أهل العلم وطلابه في هذا الزمان، فكن على تذكر من هذا.

المجمع العلمي العربي بدمشق بعنوان: «حياة العلاَّمة أحمد تيمور باشا، ذكريات شخصية»، وهي أطول ما كتب عنه، وأحسن ما قيل فيه، ولذا جعلتها في صدر هذه المقالات، وعلّقت على هذه المحاضرة والمقالات بما يناسبها من أحوال المترجم من الكتب والمقالات الأخرى المنشورة عن حياته[1].

أما بالنسبة لمحاضرة العلاَّمة محمد كرد علي[2]، فإنها نشرت في «محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق»، الجزء الثاني، من ص ٤١٢ إلى ص ٤٣٣.

وأما المقالات الثلاث: فالأولى للعلاَّمة الشيخ محمد رشيد رضا[3] في مجلة «المنار»: (٣٠/ ٧٨٤ ـ ٧٩٠).

---

(١) أفاض في ذكر ما نشر عنه محققو كتاب «الرسائل المتبادلة بين تيمور والكرملي» ص: ٩ ـ ١٣، ويوسف أسعد داغر في كتابه: «مصادر الدراسة الأدبية»: (٢/ ٢٣٢، ٢٣٣).

(٢) ترجم العلاَّمة محمد كرد علي لنفسه في كتابين من كتبه وهما: «خطط الشام» (٦/ ٣٣٣ ـ ٣٤٧)، و «المذكرات» له: (١/ ٥) ومواضع أخرى منه، كما أفرده بالترجمة غير واحد، منهم:
سامي الدهان، وهو من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٥م.
وشفيق جبري، محاضرات في معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٥٧م.
والدكتور عدنان الخطيب في «المجمعيون في خمسين عاماً» ص: ١٩ ـ ٤٥، وقد أفاض في ذكر أهم المصادر المترجمة له، كما ألقيت حوله مجموعة من المحاضرات في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٩٦هـ وطبعت في كتاب مستقل.

(٣) ترجم العلاَّمة رشيد رضا لنفسه في كتابه «المنار والأزهر» في أكثر من مئة =

والثانية: للعلاَّمة الشيخ محمد الخضر حسين[1] في مجلة «الهداية»: (٩/١٣٤٨ هـ ـ ١٣٤٩ هـ ص: ٥٠٣ ـ ٥٠٧).

والثالثة: للعلاَّمة الأديب خير الدين الزركلي[2] صاحب كتاب «الأعلام» في مجلة «المقتطف»: (٧٧/ ١٢٩ ـ ١٣٢).

هذا ما أحببت أن أذكره في هذه العجالة اللطيفة من جوانب حياة هذا العالم الجليل، سائلاً الله أن ينفع بها أهل العلم وطلابه، وأن لا يحرمني من دعوة صالحة في ظهر الغيب، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

محمد بن ناصر العجمي

الكويت ـ الجهراء المحروسة ـ

السبت: ٢٣/ ٤/ ١٤١٧ هـ

٧/ ٩/ ١٩٩٦ م

= صفحة، كما أنه تحدث عن نفسه في مجلته «المنار» و «التفسير» له، وفي مواضيع كثيرة من مؤلفاته، وكتب عنه بعض معاصريه كأمير البيان شكيب أرسلان في كتابه «رشيد رضا وإخاء أربعين سنة».

(١) ترجم له بدراسة وافية الأستاذ محمد مواعده بعنوان: «محمد الخضر حسين حياته وآثاره»، وطبعته الدار التونسية بتونس. وانظر مصادر ترجمته في «الأعلام» للعلاَّمة الزركلي (٦/ ١١٤).

(٢) ترجم العلاَّمة الزركلي لنفسه في آخر كتابه قاموس التراجم «الأعلام» (٨/ ٢٦٧ ـ ٢٧٠). وطبع بعد وفاته مجموعةٌ من المقالات بعنوان: «علم الأعلام خير الدِّين الزركلي» طبعة دار طلاس بدمشق.

حياة العلامة

أحمد تيمور باشا[1]

«ذكريات شخصية»

مبدأ التعارف ونشأته وأخلاقه:

لمَّا هبطتُ مصر أول مرة في سنة ١٩٠١م، أرادني أحد أصدقائي وأظنه الأُستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار»، على أن أزور أحمد تيمور بك، وقال: إن في بيته اليوم اجتماعاً يضم شيخنا الإمام محمد عبده وجماعته.

فبادرتُ شاكراً له دلالته، فدخلنا داراً قوراءَ على الطراز القديم من البناء، وكان في الجلسة طائفة من العلماء والأدباء، ومنهم فيما أذكر: حسن باشا عاصم، وقاسم بك أمين، وفتحي باشا زغلول، والشيخ عبد العزيز شاويش، والشيخ محمد المهدي، والشيخ حسن منصور، والشيخ أحمد الإسكندري. ولا أذكر إن كان في الجمع يومئذٍ سعد باشا زغلول، وحفني بك ناصف، وإسماعيل باشا صبري، ومحمود سامي باشا البارودي، وعلي بك بهجت، وإسماعيل بك رأفت، وعبد العزيز

(١) محاضرة الأستاذ السيد محمد كرد علي، رئيس المجمع العلمي، ألقاها في غرفة المجمع في آذار سنة ١٩٣١م.

بك محمد، والسيد محمد البِبْلاوي، وحافظ بك إبراهيم، والشيخ أحمد إبراهيم، والشيخ عبد الوهاب النجار، فإن الجمع ما كان يقل عن عشرين رجلاً.

وهؤلاء كانوا من حلقة الأُستاذ الإمام[1]، ومن أصدقاء أحمد تيمور بك.

تجلَّت لي يومئذٍ ظاهرة من ظواهر عظمة مصر بعظماء رجالها، ورأيت عطفاً على غريب صعلوك شاب، أكبرت معه ــ بما شهدت ــ تناهي المصريين في التأدب والرِّقة، خصوصاً إذا كانوا من هذا الطراز الممتاز.

ولقيت ذاك اليوم من أدب صاحب الدار ما بهرني، فانعقدت بيننا أواخي الإخاء.

وهذا المجلس كان المرحلة الأُولى التي فتحت أمامي الدخول في المجتمع المصري، وتشرفت بعشرة هذه الطبقة المختارة. رحم الله من سبقونا إلى الدار الآخرة، ومد في أعمار الأحياء منهم.

غدوت منذ ذاك اليوم أحرص على الاجتماع بأحمد تيمور ورعيله والأخذ عنهم، وأنشأت أكثّر سوادهم لأَني استطبت عشرتهم.

وكان تيمور في ذاك الحين يقرأ على الشيخ محمد محمود الذكري الشِّنْقيطي[2] إمام اللغة في عصره، وقال لي هذا مرة: إنه لم ير

---

(١) يعني الشيخ محمد عبده.

(٢) هو علاَّمة عصره في اللغة والأدب محمد محمود بن أحمد بن التُّرْكُزِي الشِّنْقيطي، توفي سنة ١٣٢٢هـ، وكان رحمه الله معروفاً بالحدة والشدة.

في مصر من يفهم كلام العرب مثل الشيخ محمد عبده، وأحمد بك تيمور، وذكر شخصاً آخر أُنْسيته.

= يقول العلاَّمة محب الدِّين الخطيب: «في تلك السنوات هبط الشنقيطي الكبير ـ محمد محمود التركزي ـ مدينة القاهرة، فصحبه فقيدنا العظيم وكان ألزم الناس له، وأكثرهم استفادة من علمه. وكان الشنقيطي من ضيق الصدر وشذوذ الأخلاق بالدرجة التي لا يطيقها أحد، فأراد أحمد تيمور أن يأخذ علم الشنقيطي مهما كلفه ذلك من حلم وصبر، وغلب حلمُ تيمور باشا شذوذَ الشنقيطي فلازمه ملازمة عجيبة زمناً طويلاً، وقرأ عليه المعلقات السبع روايةً ودرايةً، وكثيراً من دواوين العرب التي كان يرويها، وبعض الرسائل اللغوية، واستفاد منه فوائد جمة صرفته إلى الاشتغال باللغة بعد أن كان مقتصراً على الأدب والتاريخ، حَتَّى صار تيمور باشا ـ باجتهاده الشخصيّ وبتلقيه عن المرحـوم الشنقيطي ـ عَلَم الأعلام في أسرار العربيّة والإحاطة بعلومها ومعرفة القديم من كتب أئمّتها. ولم يزل مصاحباً للعلاَّمة الشنقيطيّ حتى تُوفِّي قبل غروب يوم الجمعة ٢٣ شوال سنة ١٣٢٣هـ ». «مجلة الزهراء» (٥/ ٥٦١).

ويقول الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف في مقال له حول دراسة العلاَّمة أحمد تيمور باشا على الشنقيطي: « . . . أما الشنقيطي فقد كان تيمور باشا يقصد إليه في داره، ويجلس أمامه لتلقي الدرس، وكان الوقت يطول به وهو متربع على الأرض، فكان حينما يشعر بألم ويريد أن يبدل رجلاً بأخرى يقول الشنقيطي له: لا تتألم يا أحمد، فقد كنا نقطع بالراحلة شهوراً وراء البحث والاستقصاء عن مسألة علمية.

ويحكي تيمور باشا عن نفسه فيقول: وأشار عليَّ مرة أُستاذنا العلاَّمة الشنقيطي أن أُطالع «أمالي» أبـي علي القالي مطالعة إمعان وتدبر، ولم تكن

وكان تيمور تخرج في صباه في دار أبيه بأستاذه الشيخ رضوان المخللاتي[(١)]، ولازم أستاذه الشيخ حسن الطويل[(٢)] ــ فيلسوف الأزهر وشيخ شيوخها ــ مدة طويلة، فأخذ عنه العلوم الدينية والعقلية والأدبية.

= طبعت بعد، فاستنسخت منها كراريس عكفت على مطالعتها، واحتجبت عن الناس بضعة أيام، حتى استوفيت ما بهذه الكراريس...». «مجلة الرسالة» (١٦/ ٦٦٦).

وانظر ترجمته في: «أعلام الفكر الإسلامي» لأحمد تيمور ص ٣٧٠ و «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» لأحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٣٨١، و «الأعلام» للزركلي (٧/ ٨٩).

ومقال حوله للدكتور سيدي أحمد بن أحمد سالم في مجلة «آفاق الثقافة والتراث» العدد العاشر ص ٧٨.

(١) يقول العلاَّمة أحمد تيمور عن شيخه هذا: «هو الأُستاذ الحجة في عصره، شيخنا العلاَّمة الجليل الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان المكنّى بأبي عيد المعروف بالمخللاتي، ... وقد بارك الله في حياته، فأنتج إنتاجاً علمياً في مختلف العلوم... انتقل إلى رحمة الله تعالى في يوم الجمعة ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣١١هـ». «أعلام الفكر الإسلامي» له ص ٨٥.

(٢) ترجم له العلاَّمة تيمور فقال: «هو شيخنا الإمام العلاّمة حسن بن أحمد بن علي، شيخ الشيوخ، وأُستاذ الأستاذين، وأحد من تفرد في مصر بالبراعة في المعقول والمنقول...» وأثنى عليه وعلى دينه ثناء عاطراً إلى أن قال: «وكان رحمه الله سني العقيدة، صوفي المشرب، لا يحيد عن الشرع قيد إصبع، أخذ بمذهب الإمام ابن تيمية في مسألة الاستغاثة بالقبور والاستشفاء بالموتى، منكراً على المبتدعة أشد إنكار...» توفي سنة ١٣١٧هـ «أعلام الفكر الإسلامي» له ص ٩٣ ــ ١٠١.

واتصل بعد ذلك بعلماء عصره كالشيخ العِدْوي[1]، والشيخ الهُـوريني[2]، والشيـخ الحُسَيْنـي[3]، ثُـمَّ مـؤخـراً بـالشيـخ طـاهـر الجزائري[4]. ولكثرة ما استهوى قلبه حب الشيخ محمد عبده؛ ابتاع بجواره في عين شمس داراً بحديقة جميلة، ونقل إليها من العاصمة خزانة كتبه ولازمه ملازمة المستفيد المغتبط.

وما زالت الصداقة تزيد بيني وبين أحمد تيمور حَتَّى كانت السنة التي أنشأت فيها مجلة «المقتبس» في القاهرة غرة المحرم سنة ١٣٢٤.

وكنت أزداد إعجاباً مما أرى من أخلاقه وحرصه على الاستفادة من مجلس الإمام محمد عبده، واللغوي الشنقيطي وأضرابهما، ممن يغشون مجلسه أَوْ يغشى مجالسهم، وأحس منه عزوفاً حَتَّى عن بعض المشهورين، وتحرزاً من مخاللة من لا يعرف ماضيه وحاضره.

فكان وهو في تلك الحقبة من حياته بعيداً عن القوم قريباً منهم،

---

(١) هو الشيخ حسن العِدْوي من قرية «عِدْوه» بمصر توفي سنة ١٣٠٣هـ «الأعلام» للعلاَّمة الزركلي (٢/ ١٩٩).

(٢) هو الشيخ نصر الهُوريني الأزهري، عالم بالأدب واللغة توفي سنة ١٢٩١هـ «الأعلام» (٨/ ٢٩).

(٣) هو الشيخ أحمد بن أحمد بن يوسف الحسيني، من فقهاء الشافعية، توفي سنة ١٣٣٢هـ «الأعلام» (١/ ٩٤).

(٤) شهرته تغني عن ترجمته، وقد أفرده أكثر من واحد بالترجمة، توفي سنة ١٣٣٨هـ، وأفاض العلاَّمة محمد كرد علي في ترجمته وذلك في مطلع كتابه «كنوز الأجداد».

يهتم لسعادة أصحابه ويرمضه إذا نزلت بهم نازلة، ويتبسط مع خاصته تبسطاً ما خرج فيه يوماً عن حدود الأدب والفكاهة، وما تعدى حواره البحث عن ما في الكتب مطبوعها ومخطوطها، والنظر فيما يعلي شأن الإسلام والعرب، وأخذ قبيل ذاك العهد يكتب آراءه وأبحاثه في جريدتي «المؤيد» و «الأهرام» ومجلات: «المقتطف» و «الضياء» و «الهلال» و «المقتبس» ثُمَّ «السَّلفية» و «الآثار» و «الزهراء» وغيرها.

والغالب أنَّه كان يكتب في المناسبات أَوْ متى أُرِيدَ على معالجة موضوع غامض يحتاج إلى درس أَو يعرض ما عنده من المواد المهمة التي يستعان بها على ظهور الحقيقة.

وكان لأول عهدي به لا يبين رأيه في بعض معاصريه، وإن كان منهم من لا تروقه حركاته وأفكاره، هذا وهو على يقين من أن بعض الأزهريين كانوا منذ أخذت تعظم شهرته، يحسدونه ويصغرون من شأنه.

ومنهم من كان يعده في البخلاء؛ لأن أحمد تيمور على غناه وشرف بيته لا يهنأ له عيش إلاَّ إذا أنفق ماله على العلم وعلى المعوزين من المساتير. وما عدا ذلك من أبواب النفقات ليس له فصل في موازنة بيته، بل كان عيشه في الحقيقة عيش أهل الطبقة الوسطى، مع أن ما أوتيه من اليسار كان يتأتى له به أن ينفقه في ضروب من البذخ والرفاهية يسمو به إلى محاكاة الطبقات التي تماثله بغناه في القطر المصري.

قلت: إنه كان ينفق على المساتير وربما كان اقتصاده يعد إمساكاً في نظر بعض من لا يعرفون للمال قيمة (مجلة المجمع العلمي م ٤ ص ٢٤١)، ولا يحكمون على أرباب المروءات إلَّا بما يبدو من مظاهرهم وظواهرهم.

فكان ما يرمى به حسداً ولؤماً يترامى إلى سمعه فيبتسم ولا يفوه بكلمة.

غَبَرَت أيام وأعوام، ثبت بعدها من طريق أحد المفضل عليهم أنه كان يُدِرُّ المشاهرات على بيوت كثيرة في مصر، قَعَدَ الدَّهْرُ بأربابها فأعجزهم عن الكسب.

فكان يرسل إليهم على رأس كل شهر مع أحد مستخدمي دائرته بما يقوم بنفقتهم سراً، ويأبى عليه شرفه ودينه ومكارمه إذاعة ما تجود به نفسه، فيتكتم بحسناته جد التكتم، **وقد أخذ العهود على من يحسن إليهم أن لا يذيعوا له سراً.**

ولما اشتهر أمر صدقاته شق عليه ذلك فتظاهر بأن أطيانه أصبحت لا تعطيه الريع الذي كان يأتيه منها، وأنه في ضائقة من المال اضطره إلى تخفيف نفقاته.

وبعد مدة أصبح هؤلاء الذين عاشوا زمناً بنعمته يتناولون من المصرف حوالات مالية تأتي بأسمائهم وهم لا يعرفون مصدرها؛ بل إن المصرف ذاته لا يعرف حقيقة مرسلها.

فتأمل بربك هذه النفس الكريمة المسلمة وهذه الأخلاق التي لا تشهد مثلها في مئة غني من أغنياء زماننا.

حقيقة إن وجه الغرابة في تربية مترجَمِنا هو أنَّه أخذ من العلم أقصى ما يمكن أخذه لمن كان في أصالة بيته، فأتقن من اللغات العربية والإفرنسية؛ وهذه درسها في مدرسة مارسيل ــ مدرسة أبناء الأعيان ــ خمس سنين، وتلقف الفارسية والتركية على أساتذة خصوصيين، ونشأ يتيماً في حجر أُخته المرحومة عائشة عصمت التيمورية الشاعرة الأديبة المشهورة، فجاء منه مع هذا الغنى رجل علم ورحمة، وقصد وتديُّن وعزوف عن المظاهر والاشتغال فيما ينفع.

ولو أراد لأول أمره على ما لأبيه وجده من المنزلة عند الأسرة المالكة أن يدخل في المناصب الحكومية لخطبته الوزارات، ولما تخطته الرئاسات والزعامات. ولكن كان نبوغه ينحصر في دائرة خاصة، ولا تنبعث مواهبه العلمية الانبعاث الذي قدر لها، باشتغاله في جو هادىء لا تكدر صفوه مشاغب الأحزاب، ولا متاعب السياسة وأهواؤها، فاقتصد من وقته في هذه الناحية.

وشغله طول عمره في ملاذ روحية من مطالعة وبحث وتأليف قلّ أن تتاح لكثير ممن شغفوا بالعلم، وحاولوا استثماره لفائدته ولذته لا لمقصد آخر.

قلت: كانت لأبيه وجده المنزلة العليا عند الأسرة العلوية؛ جاء جده أحمد مع جد شاعر العصر أحمد شوقي بك إلى مصر، وكانا من أبناء الأَكراد، وجد مترجمنا من مدينة الموصل، أرسلهما والي عكا إلى

محمد علي الكبير، وأوصاه بهما خيراً قائلاً: إن النجابة بادية عليهما وإنهما سيبلوان البلاء الحسن في خدمة الدولة المصرية، فعُيِّن جد مترجمنا في وظائف انتهت به أن عُد في آخر أمره من قواد محمد علي، كان ابنه من بعده رئيس الديوان الخديوي.

وخَلَّفَ أطياناً كان ما أصاب المترجم منها مع ما ابتاعه بأخرة من بقية الورثة نحو ثلاثة آلاف فدان، وكان يتعهدها أحسن تعهد ولا تعوقه عن طلب العلم، بل تساعده على إتمام رغائبه منه.

وكم من أبناء الأعيان أمثاله مَنْ أورثهم آباؤهم ألوف الأفدنة فلم يحسنوا استغلالها، وأنفقوها بسوء تربيتهم في شهواتهم وإسرافهم أَوْ ضاربوا فاستدانوا فافتقروا.

أما هو فخالف جمهرة جيله فكان بالتربية الإسلامية العالية التي لُقنها في صباه غنياً بماله، غنياً بعلمه، غنياً بتدبيره وعقله.

تجردت نفسه الكريمة عن المطامع، ومع هذا أقبلت عليه الدنيا من طريقها المشروع المعقول.

غرامه بالكتب واحتفاله بجمعها:

عرفنا بما تقدم أن بيت تيمور كان بيت علم وفضائل ومجد تليد طريف.

فلما نشأ عالمه هذه النشأة الطيبة، رأى في داره خزانة كتب صغيرة لم تشبع نهمته العلمية، فقام في نفسه منذ سنة ١٨٨٩ أن يقتني من المخطوطات والمطبوعات ما يتلاءم موضوعه مع ما غلب عليه من

العلوم. وما يزال ينفق على اقتناء مجموعاته عن سعة، وهو يطالعها ويعلق عليها ويخدمها بالفهارس والحواشي، حتَّى تألف منها قبيل وفاته خزانة كتب تقدر بنحو ثلاثة عشر ألف مجلد، عدا الصور التاريخية والآلات الفلكية، ومحابر وأقلام كانت لبعض المشاهير، ونحو نصف خزانته مخطوط أَوْ مصور بالتصوير الجديد.

وقد وضع لمخطوطاته قائمة جليلة كانت مرجعاً لكل طالب وطابع وناشر من العرب والمستعربين من علماء المشرقيات، وقلما كان يضن بها على أحد، يعيرها حَتّى إلى البلاد البعيدة، فاشتهرت في الشرق والغرب، وعدّت بحق أهم خزانة خاصة في بلاد المشرق لغناها بمخطوطاتها النادرة، ومنها عشرات من الكتب كتبت بخط مؤلفيها أَوْ قرأ فيها أعلام من رجال السّلف أَوْ قُرِئَتْ عليهم وعلقوا عليها وأجازوها.

أتيح لي أن أصف هذه الخزانة التيمورية في سنة ١٣٣٠هـ وكانت إِذْ ذاك نحو ثمانية آلاف مجلد.

وكان صاحبها دعاني مع أُستاذي العلاَّمة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري إلى زيارتها في عزبته في قويسنا من عمل مديرية المنوفية في الدلتا، وهي إِحدى مزارعه كان يؤثرها على غيرها؛ لأن أباه وأمه كانا يحبان المقام في قصرها وينزلان فيها أياماً معدودة من كل سنة؛ ذلك أن أحمد تيمور اسودت العاصمة في وجهه بعد وفاة شيخه وصديقه الشيخ محمد عبده، وزهد بعده بالدار التي كان اقتناها في جواره؛ فرأى أن ينقل خزانته من عين شمس وحملها إلى قويسنا ورتبها في خزائنها

أحسن ترتيب، فكان يفزع إليها كل حين ليطالع ويؤلف.

ولقد قضينا في ضيافته ثلاثة أيام كان خلالها يقرأ علينا أسماء الكتب المخطوطة، وأُستاذنا الجزائري يتولّى الترجيح في اختيار الأندر فالأندر، فوصفت الخزانة إذْ ذاك في إحدى وعشرين صفحة في المجلد السابع من مجلة «المقتبس».

وقد قلت له يومئذٍ: إن وجود الخزانة في داره بقويسنا لا يؤمن عليها من الحريق؛ لأن الدار متلاصقة مع بيوت الفلاحين، والفلاحون يضعون الخوص والعيدان على سطوح بيوتهم، فإذا سرت النار إلى بيت من البيوت لا تلبث العزبة وما إليها أن تحرق في ساعة. وفي ذلك من الخسارة على العلم ما فيه.

فأجابني: إن في نيته أن يعمر لها داراً في مصر ينقلها إليها. وغبرت مدة واشترى أرضاً في الزمالك ــ أحد الأحياء الجديدة في القاهرة ــ وعمرها ونقل الخزانة إليها بعد سنة ١٣٤٠.

وكتب (في ٢ يونيه ١٩٢٣) يقول: «إن الخزانة رتبت والحمد لله، ولم يبق إلَّا عمل فهرس جديد لها على الطراز الحديث في الجزازات، ولا بد لها من ثلاثة فهارس: فني، ومعجمي، وآخر لأسماء المؤلفين، فأرجو أن يوفقني الله لمن يقوم بعمله؛ لأن اشتغالي به سيعطلني عما بيدي».

ثُمَّ وقفها ووقف عليها بعض أطيان تقوم بنفقاتها، وَجَدَّ وأي جَدّ في ابتياع ما ينقص مجموعته في كل علم من علم المطبوعات

والمخطوطات، وربما لا يقل ما أنفق عليها عن مئة ألف جنيه، ثُمَّ نزل عنها للأمة المصرية الكريمة، بل للعالم العربـي الإسلامي فأعظم بها من مأثرة[1].

سَعَةُ عِلمه التي جعلته مرجعاً:

توطدت صلات الحب والتشاكل في وحدة المقصد في سني ١٩٠٦ و ٧ و ٨ بعد نشري مجلة «المقتبس»، فكان يؤازرني فيها، ويعيرني كثيراً من مخطوطات خزانته أكتب في وصفها في المجلة، فلما رحلت عن مصر إلى دمشق في آخر سنة ١٩٠٨ بعد إنشاء الدستور العثماني، استعضنا عن المسامرة والمذاكرة بالمراسلة والمخابرة، ولم تكد تنقطع رسائله أَوْ رسائلي مدة قصيرة إلا لمعذرة كمدة الحرب العالمية الكبرى، وقد انقطعت المواصلات بين مصر والشام أربع سنين.

---

(١) يقول العلاَّمة محب الدِّين الخطيب: «كان فضيلة السيد محمد الببلاوي مرة بين يدي جلالة الملك يذكر له شيئاً عن خزائن الكتب المصرية، فقال يصف الخزانة التيمورية، وكان ذلك في حياة صاحبها رحمه الله: إن مكتبة تيمور باشا فريدة في مصر لا مثيل لها بعد دار الكتب المصرية.
فأجابه جلالته:
وصاحبها أيضاً فريد». «مجلة الزهراء» (٥/ ٥٧٠).
وقد كتب الأستاذ محمد علي الرفاعي مقالة بعنوان: «مكتبة فريدة وصاحبها أيضاً فريد». (انظر المقتطف ٨٠/ ٣٤٢ ـ ٣٤٥)، وقد أجمع كل من ترجم له أو عرفه بمكانة مكتبته وندرة ما فيها، وذكرهم لعنايته الفائقة بها، رحمة الله تعالى عليه.

وجدت في أضبارة خاصة برسائله إليَّ مئة وأربعين رسالة، عدا ما أرسله باسمي إلى المجمع العلمي العربي مباشرة، منذ أواخر سنة ١٩١٩، ومجموعة رسائله خلاصة علم ودرس وبحث عن المفقود أَوْ الموجود من المخطوطات، ومنها: مشاكل في اللغة، والأَدب والتاريخ.

ولقد كنت منذ توطدت بيننا أواصر الصداقة التي زادها تمكيناً وجود أستاذي الشيخ طاهر الجزائري في القاهرة مدة ثلاث عشرة سنة، وكان هو على اتصال وثيق به يعده أعز عزيز عليه بعد شيخه الإِمام محمد عبده، إذا عرض لي أَوْ لبعض أعضاء المجمع إشكال لغوي أَوْ تاريخي، أَوْ أحببت أن أعرف كتاباً في موضوع يهمني البحث عنه، لا أجد من يشفي غلتي خصوصاً بعد أن فقد أستاذنا الجزائري غير المرحوم أحمد تيمور[١].

---

(١) وقد شهد له بذلك غير واحد في هذا الميدان؛ يقول أمير البيان شكيب أرسلان: «... وناهيك بالعالم المحقق والجِهْبِذ المدقق، الذي لم يكن يدانيه أحد في معرفة لغة العرب ومذاهبها، ولم تكن تخفى غوامض العبارات على الناس إلاَّ أخرج الحقائق من جوانبها. وكم من حقيقة بدونه بقيت في بطن الخفاء، وكم من نكتة لغوية أو تاريخية لولاه لطمسها العفاء. وكم كشف بتدقيقاته من دفائن، ونثل بتنقيباته من كنائن، ولعمري بمثله لاقت المكاتب والخزائن. وأي منهل للعلم كانت خزانته العامرة وبين صدغيه خزانة تضاهيها، وأي صفحة من هذه التآليف التي تحصى بالأُلوف لم تكن ملاحظاته القيمة على حواشيها. ومن ناداه في مشكل علمي فلم يجد منه نجدة ولم يشف له غلة، ومن راجعه في مبرة أو مكرمة فلم يسرع له إجابة ولم يزح له =

ومجموعة كتبه إليّ تؤلف مجلداً مفيداً جداً في هذه الأَبحاث، ولا سيما ما كان منها ذا علاقة بأسفار القدماء من الأَسلاف، فهو في هذا الموضوع المفرد العَلَمُ والصدر المقدَّم والبحَّاثة الواسع المادة، البعيد النظر، الصحيح الاستنتاج والاستقراء. ساعدته على ذلك جودة ذاكرته وتقييده في دفاتره كل ما يعثر عليه في الكتب التي يقتنيها، ويصنف لها الفهارس التي تقرب منال الأَخذ منها على أحدث طراز في هذا الباب.

رأيت كثيرين من غلاة الكتب من الشرقيين والغربيين **وقل أن عرفت مثله مَنْ إذا تكلم في الكتب كان كلامه عن ذوق وتحقيق**؛ وذلك لأَنه يطالع كثيراً، ويقيد كل ما يظفر به، ولا ينسى، ويحسن الاختيار، ويجوّد النقد.

وقد كتبت له عامة أسباب النجاح في هذا الباب؛ لأَنه عالم يعنى بتعهد علمه بالتنمية كل يوم، ويجمع الكتب ويحرص على اقتناء

= علة؟...». «مجلة الفتح» (٤/ ٧٨٦).

ويقول أنستانس الكرملي: «ووجدنا فيه من الحافظة قدراً عظيماً ولا سيما حفظه للكتب المطبوعة والمخطوطة، فإنه لا يكاد يصدق.

وإذا كان التأليف مطبوعاً في عدة مدن من ديار الشرق والغرب، أعلَمَكَ بها، وربما ذكر لك السنين.

وأمر المخطوطات أمر عجب، إذْ يعلم محل كل مخطوط نادر من أي علم كان، ويذكر لك بعض الأَحيان من أوصافه المختلفة ما يدهشك أعظم الدهش!!». «مجلة لغة العرب» له (٨/ ٤٨٥).

نوادرها خصوصاً، ويغلي لها الثمن معتقداً أنها هي الكنز الثمين.

وكان إذا صارت الأَسفار إلى ملكه لا يلقيها كما يلقيها أكثر هواة الأَسفار، ويبرد شوقهم إليها بمجرد تقليب صفحاتها والإلمام بمضامينها، أَوْ بمجرد انتقالها إلى خزائنهم فقط، فتراهم يرجئون النظر فيها إذا ملكوها لتشاغلهم بأمر آخر، أَوْ لأَنهم ممن يهوون حجمها وشكلها ويزهدون بما في بطونها.

أما هو فيشرع حالاً بدرس ما يقتنيه ويتناولها باليمنى فَرَحاً بمقدمها، مقدساً لعمل مؤلفها مغتبطاً باقتنائها، يحملها بالتجلة، ويودعها قمطره بالإعظام، ولا يزال بها حَتَّى يحفيها درساً بألفاظها ومعانيها.

ولطالما هنأني على ما كنت أظفر به من نوادر المطبوعات والمخطوطات، كأنني وُلِدَ لي مولودٌ أَوْ أظفرني حسن الطالع بعزيز مفقود.

وفي العادة أن يضن غلاة الكتب بكتبهم، أما هو فقد تعود بسط الكف فيها[1]؛ لأَن غايته منها نشر العلم وإحياء آثار السلف.

---

(١) يقول أنستانس الكرملي: «أما كرمه فحدث عنه ولا حرج: كنا في حاجة إلى نقل كتاب خط من كتبه، وكنا قد طلبنا ذلك من صديقنا يوسف إليان سركيس. فلما درى أنه لنا أحضر له ناسخاً، وبعد أن أتمه بعث به إلينا من غير أن يقبل فلساً منّا.

والكتاب كان ضخماً، فلما عرفنا ذلك وكنا في حاجة إلى نقل تصانيف أخرى مصورة طلبنا من صديقنا المذكور أن يصور لنا بعض تلك المؤلفات من غير =

كتب إليَّ مرة (٢٩ جمادى الثانية ١٣٤٢) يقول: «نقلت لك ترجمة الصدر الآمدي من مخطوطين نادرين عندي، ولا يبعد أن يكون السخاوي ترجمه أيضاً في «الضوء» ولست على يقين من ذلك؛ لأَن نسختي استعارها أحد الأَصحاب من ثلاث سنوات، ولم تزل عنده ولا يريد ردها، وكلما احتجت إلى الكشف عن ترجمة أذهب إلى عنده وأكشف عنها».

فتأمل هذا الشغف بنشر العلم وهذا اللطف حتى مع المتساهلين في رد الكتب إلى أربابها، وقد تكون مما لا يقع عليه ثمن.

= أن يذكر له اسمنا؛ فلم يأذن بذلك حتى عرف أنها لنا.

فلما تم تصويرها بعث بها إلينا مجاناً، ومثل هذا السخاء اضطرنا إلى أن لا ننسخ كتاباً أيّـاً كان من خزانته، وأهدينا إليه مقابلاً لتلك المصورات كتباً خطية تاريخية وأدبية ولغوية لم تكن عنده.

ومن عجيب سخائه: أننا كنّا في حاجةٍ إلى مصنف نادر لا وجود له في العالم سوى نسخة واحدة هي في خزانته، فطلبنا إلى أحد الأَصدقاء غير يوسف إليان سركيس أن يصوره لنا لكي لا يعلم أنه لنا، فلما علم أنه لنا أبرد به إلينا مسجلاً، فلما وصل إلينا رددناه في ذلك البريد عينه خوفاً من ضياعه.

فهذه الأُمور وأمثالها بالمئات جرت لغيرنا من الأُدباء، وكرمه أشهر من أن يُذكر، وأخلاقه حبَّبته إلى جميع النفوس وإلى كل من دنا منه من أي أمة كان ومن أي قوم ومن أي لغة ومن أي دين.

وكان رحمه الله متمسِّكاً بالدِّين الحنيف كل التمسُّك، ولا يرضى بالمارقين منه، ولا بمن يطعن فيه». «مجلة لغة العرب» (٨/ ٤٨٥، ٤٨٦).

مثال من تهذيبه:

لما صح عزمي على نشر كتابي «خطط الشام»، كان يبعث إليّ في البريد بالنوادر من المخطوطات التي أطلبها أَوْ لا أطلبها، عساني أظفر فيها بجمل تدخل في موضوعاتي، وكنت أعيدها إلى مصر في البريد المضمون، ولا ترتاح النفس إلاَّ إذا أخذت علماً منه بوصولها، فأسدى بذلك إليَّ يداً لا تنسى على وجه الزمان، ومنها ما كان ينسخه بالتصوير الأَبيض على الأَسود ويرسلها هدية إلى المجمع العلمي العربي، وكثير مما في خزانة المجمع من هذه النوادر المصورة هو من هدايا أحمد تيمور، ولطالما أهدى أصحابه ومن يعملون لمصلحة عامة أشياء من هذا القبيل، ولم تؤسس في الشرق العربي خزانة كتب إلا كانت هداياه إليها أول الهدايا، لا يضن في هذه السبيل بعشرات الجنيهات إذا أيقن من ورائها خدمة للمسلمين والعرب.

ولما تم تأليف «الخطط»[١]، وقد خدمه بعلمه ومادياته، وشعر بأنني أُريد أن أقدمه إليه عرفاناً لجميله، تأفف وتنصل وحاول أن يقنعني بالعدول عن قصدي، ومما كتبه إليَّ في هذا الشأن (٩ جمادى الأُولى ١٣٤٢):

«سرني اهتمامك بإنجاز «الخطط»، وهو ما كنت أحثك عليه دائماً فأسأله تعالى أن يتولاك بعنايته وتوفيقه، حتَّى تتم هذا العمل العظيم النافع، وقد أحسنت كل الإحسان في تخصيص فصل منه لتاريخ الشام

(١) يعني «خطط الشام».

السياسي، كما فعل من كتب قبلك في «الخطط»، وإذا وُفِّقْتَ إلى طبعه على مثال طبع المجلة فسيكون على أحسن مثال.

أما صورتي فليس عندي أحدث منها لأَني لم أصور نفسي بعدها، وتصدير كتابك بها فضل كبير تطوق به عنقي وتنبه من ذكري؛ ولكن هل لك أن تسمع كلمة مني وأُقْسِمُ لَكَ أنني لا أقولها تواضعاً وتخاشعاً؛ وهي أن تعدل عن ذلك؛ لأَني لا أرى لي من الفضل ما أستحق به أن أصور في فاتحة كتاب كهذا، وما هو بمنع مني، ولكنه رجاء أرجو أن تقبله».

وعاد في كتاب فكرر هذا المعنى راجياً إعفاءَه من هذه التقدمة؛ قال (٢١ جمادى الأَولى ١٣٤٣): «وصلني كتابك فأخجلني ما فيه، وقد كنت استعفيتك من وضع صورتي في «الخطط»، فأكرر الآن هذا الاستعفاء شاكراً حسن ظنك وجميل رأيك، ويعلم الله أني لا أقول ذلك تواضعاً فهل لسيدي أن يحسن إليَّ بإعفائي من ذلك، وله مني الشكر الجزيل والثناء المكرر».

وكتب أيضاً بهذه المناسبة بتاريخ ٢١ شعبان ١٣٤٣: «وصلتني الملزمة الأُولى من «الخطط» وقرأت مقدمتها، وإذا ساغ لي شكر سيدي الحبيب على ما تفضل بالتنويه بـي، أفلا تسوغ معاتبته على هذا الغلو والإغراق. حقاً يا سيدي إنك بالغت مبالغة أخجلتني فيها وأفحمتني فلا أدري ما أقول، والله سبحانه يجزيك خير الجزاء على حسن ظنك بـي إلى هذا الحد».

وهكذا كان أدب نفسه يوم أراد صديقه أن يقابل بعض جميله

ويقـول في نعته ما يعتقده ويعتقده كـل من سبر غور أخلاقه وسعة علمه.

وهو يستقل ما يعمل، شأن أرباب الهمم العالية، ويستكثر ما يُعْمَل له، فقد أهدى دمشق مجموعة بديعة من النقود القديمة؛ قال لي صديقي أمير الشعراء أحمد شوقي بك: إنه لم يجمعها هو وحده، بل جمع فيها أبوه وجده من قبله، ومع ذلك كان في إهدائها متواضعاً.

فقد كتب في ٢ رجب سنة ١٣٤٢: «عندي مجموعة نقود قديمة من دنانير ودراهم وفلوس جلها من النقود العربية وعددها (٤١٨) قطعة ومعها مجموعة أختام قديمة عددها (٣٤) قطعة، وقد رأيت إهداءها لدار الآثار العربية بدمشق، وكتبت لكم جريدة ببيانها وسأسلمها جميعها لحضرة السيد الكسم[1]، ليحملها إليكم في عودته، فأرجو التكرم بقبولها وغض النظر عن تفاهتها ولكم الفضل». وعاد فأكمل هذه المجموعة بمجموعة أخرى من الدنانير الذهبية القديمة وعد كل ذلك تافهاً!!!

بُعده عن الظهور وإيثاره العزلة:

لمَّا تولى جلالة الملك فؤاد ملك مصر منحه رتبة الباشوية فتململ؛ لأنها صدرت عن عاطفة عالية نحوه ولم يسعه إلا قبولها؛ ولما هنّأته بها أجابني: «أما الرتب فسيدي يعلم رأيـي فيها من قديم؛

(١) هو حسني بن محمد عطا الكَسم، أمين دار الكتب الظاهرية بدمشق، توفي سنة ١٣٧٦هـ، انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٤/ ٣٠٤).

ولكنها لما كانت عنوان العطف شكرت مولاي السلطان بقلبـي ولساني على عطفه».

ولما عُيِّن عضواً في مجلس الشيوخ ضاق صدره أيضاً فكتب إليَّ (١٠ آذار سنة ١٩٢٤) يقول: «أما عضوية الشيوخ فقد تورطت فيها إطاعة لرغبة جلالة الملك، وحاولت التنحي فلم أفلح، إذ لا يخفى على سيدي دقّة هذا المركز في وسط العاصفة الثائرة، ولا سيما أنَّ أمرَ البتّ في مصير القطر سيكون في هذه النوبة من انعقاد المجلس، وهو ما كنت أتوخى الابتعاد عنه ما أمكن لأسباب كثيرة تعرفها».

وكتب أيضاً: (١٦ ربيع الثاني ١٣٤٣) «صحت عزيمتي على الاستقالة من مجلس الشيوخ، وكنت على وشك تقديمها لولا عقبات قامت بوجهي، أهمّها استرضاء جلالة الملك، فأرجو الله تعالى أن يهيِّـىء لي باب الخلاص».

وحقاً إنه كان يحب الابتعاد عن السياسة كل البعد، ولكن مصالح بلده تستلزم استدعاءَه في الأحايين، فكان الموضوع الذي يلذه كونه عضواً في مجلس الأزهر، وعضواً في دار الكتب المصرية، أَوْ في كل مجمع علمي مؤسس في مصر أَوْ غير مصر.

أما كونه عضواً في الشيوخ فهذا ما لا ترضى عنه نفسه ولا تسمح بالاضطلاع به تربيته، وهو الذي عاش هادئاً مسالماً يصرح بما يعرف ولا يتعدى طوره. كتب يقول: (في ٢ يونيه سنة ١٩٢٣): «يعلم سيدي الأخ أني لا أعرف من السياسة إلَّا مادة ساس يسوس التي أراها في المعاجم؛ فإذا ذكرت الحكومة بخير أَوْ بشرّ، فإنما أذكرها من الوجهة

العلمية فقط، فمن دلائل عناية الحكومة الحاضرة بالعلم الإنعام برتبة باشا على صديقكم أحمد كمال باشا الأثري الشهير[1]، وتقرير طبع معجمه المصري العربي الفرنسي على نفقتها، وستشرع في ذلك قريباً، وإحداث مدرسة للسان المصري يتولى هذا العلاَّمة التدريس فيها، أما المعجم ففي عشرين جزءاً، ولا يستطيع طبع مثله في الشرق إلاَّ الحكومات».

وكتب (في ١ نوفمبر سنة ١٩٢٥): «ويظهر أن الوحدة من الوسائل الناجعة في صحتي بتفرغي فيها لما أشتهي من المطالعة في راحة وهدوء بال، وبُعد عن القيل والقال، ومجالس المدن التي أصبحتُ أجد نفسي غريباً عنها، ولله درّ من قال:

هذا جزاء امرئٍ أقرانه درجوا   مـن قبلـه فتمنى فسحـةَ الأجـلِ»

وكتب في (٢٢ رجب سنة ١٣٣٨): «وقد كان سيدنا وأُستاذنا الشيخ طاهر الجزائري ــ رحمه الله ورضي عنه ــ مفزعي الوحيد عندما أكون بالقاهرة، فشاء القدر أن يفجعنا به ولا يبقي لنا من تلك الأيام إلا الذكرى المؤلمة والأسف المتواصل. حالنا يا سيدي الأخ عجيب غريب في هذا التطور الجديد، فقد أصبحت العامَّة والخاصة الجهَّال والعلماء في مستوى واحد من الآراء، ونعمت والله الحالة لولا أنه عمل صالح مرفوع إلى أسفل، ونتيجة منطقية تابعة للأخس من المقدمتين. فقل لي

(١) هو أحمد كمال بن حسن بن أحمد، قال عنه العلاَّمة الزركلي: «علامة أثري، من نوابغ مصر»، توفى سنة ١٣٤١هـ. انظر ترجمته في «الأعلام» (١/ ١٩٩)، و «مجلة المجمع العلمي» بدمشق (٣/ ٣٠).

بعيشك[1] أي أُنس في الاجتماع وأية لذة في المخالطة، وقد أصبح من المتحتم على المرء قبول كل ما يقال على تغيره وتناقضه كل يوم، وإلاَّ فالويل له ثُمَّ الويل، ولهذا تراني في أكثر أوقاتي جانحاً بوحدتي بقويسنا، مكتفياً بمنادمة كتبي، وقد أنجزت في هذه الفترة بعض ما كانت تتوق إليه نفسي من المواضيع، ولعلي أوفق إلى طبع بعضها متى انخفض ثمن الورق».

وكتب أيضاً (في ٢٩ شوال سنة ١٣٤٤): «أحوالنا الخاصَّة والعامَّة غير مرضية، فقد بعنا القطن بثمن بخس لا يفي بنفقاته، وخسر المزارعون هذه السنة خسارة كبيرة، أما الأحوال العامة فسيدي عالم بها من الجرائد الضالة المضلة، والمصير مجهول ولكن الله لطيف بعباده».

ومن مجموع هذه النتف من رسائله تتجلى روح أحمد تيمور، وبعد نظره في مسائل وطنه، وإن زعم أنَّه لا يعرف مداخلها ومخارجها.

حرصه على المصلحة العلمية:

لمَّا صدر الأمر بتوقيف أعمال المجمع العلمي العربي في أواخر العهد الفيصلي، ساءَه ذلك جداً، وكتب مرة (٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٤٣): «رأيت في بعض الجرائد السورية نبأ ساءني عن المجمع والعزم على إلغائه، فعسى أن يكون نبأً كاذباً. فلا يهدم بذلك أعظم صرح من صروح النهضة اللغوية في الشرق».

(١) هذا من الحلف بغير الله الذي لا يجوز، وقد درجت هذه الكلمة على ألسنة بعض الأدباء في ذلك العصر، غفر الله للجميع.

وكتب قبل هذا التاريخ (٥ شوال سنة ١٣٤٠): «وقد كان سروري لا يُقدَّر من النبأ الذي بشَّرتموني به بثبات المجمع وبقائه، وهو البقية الصالحة والأمل الوحيد لأنصار العربية».

وكتب (٤ يناير سنة ١٩٢٣): «إننا في حاجة كبرى لألفاظ عربية تغنينا عن الدخيل، ولهذا نرحب بكل لفظة فصيحة ترادف أخرى دخيلة، بل النظر في وضع هذه الألفاظ من أهم ما تشتغل به المجامع اللغوية إن لم يكن أهمها كلها، وقد عني مجمعنا الدِّمشقي بذلك وأتى بفوائد لا تُنكر».

وقال في نفس هذه الرسالة: «المجمع أملنا الوحيد في إنهاض اللغة، فلهذا نقابل كل خبر سيِّىء عنه بارتياع عظيم، فنشكر همة الأُستاذ الكبير فارس بك الخوري، ونرجو أن يكون في اتباعه للاتحاد السوري ما نؤمله له من الثبات».

وكتب (٣ رجب ١٣٤٤): «ساءني جداً فتور المجمع عندكم وتوقف المجلة عن الصدور، وهي التي كنا نعدها من مفاخرنا».

أما بشأن المجامع التي أُلِّفَتْ لغرض خدمة العربية بمصر، فقد كتب (٢٦ جمادى الأولى ١٣٣٧): «وأما الأخبار العامة فتأليف المجمع اللغوي برئاسة شيخ الجامع الأزهر وانضمام من هبّ ودبّ إليه، والأمل فيه قليل والسير بطيء، وقد مضى علينا سنتان لم نضع فيهما شيئاً، ونفسي تحدثني بالاستقالة منه وقد فاتحت الأُستاذ الطاهر في ذلك، فصوّب رأيي، ولكنه أوصاني بالتريث».

وكتب أيضاً: «أما مجمعنا بمصر فلا أدري ما قُدِّر له، ولا أخفي عليك أني أميل فيه إلى التشاؤم، ولا سيما بعد أن سمعت اقتراحات لبعضهم بضم أشخاص اشتهروا بانتصارهم للعجمة وفتح الصدر لكل دخيل، وسنرى ما سيكون، فربما كان حكمي غير مصيب، وأرجو أن يكون كذلك».

وكتب (٢٢ رجب سنة ١٣٣٨): «الحركة العلمية بمصر نائمة، ومجمعنا اللغوي في حكم المعدوم».

وكتب في (٦ يوليو سنة ١٩٢٣) ــ وفيه دليل على شدة غرامه بإحياء آثار السلف ــ قال: «أُخبر سيدي بخبر أعرف أنه يسرّه، ولكني أودّ أن يظل مكتوماً حتى نبدأ فيه بالعمل؛ فإنه لم يزل إلى الآن في حيِّز القول، ذلك أن الفاضلين النشيطين الشيخ عبد المعطي السقاء؛ المدرِّس بالأزهر وأحد المولعين بالكتب، والسيد محب الدِّين الخطيب، فكَّرا في تأليف شركة لإحياء مآثر السلف بالطبع على نمط جمعية المعارف القديمة، وخاطباني في أن أتولى أمرها، فرضيت بأن أتولى السعي فيها، واقترحت أن تستند رئاستها لصاحب المعالي حشمت باشا، وزير الخارجية الآن، اعترافاً بفضل الرجل؛ لأنه صاحب اليد البيضاء على مشروع إحياء الآداب العربية لدار الكتب والواضع له، وكل كتاب يطبع فيها الآن فهو من ثمرات غرسه، فوافقا.

ثُمَّ قيدنا أسماء من رأيناهم يصلحون لأن يكونوا مؤسسين وأعضاء لمجلس الإدارة، ممن يثق الناس بهم واشتهروا بعلم أو جاه أو ثروة، وأخذنا نطوف عليهم نعرض عليهم المشروع، ونبيِّن لهم

فوائده، فما قوبلنا من أكثرهم إلاَّ بالفتور والوجوم، ولم نرَ من هَشّ للمشروع وحث عليه غير إسماعيل رأفت بك، وعلي بهجت بك، ولكن ذلك لم يمنعنا من الدأب ومواصلة السعي حَتَّى يتم المرغوب، ومتى وفقنا لتأليف الأعضاء نعرض أمر الرئاسة وقتئذ على حشمت باشا، والله سبحانه الموفق».

وأشار في رسائل له غير مرة إلى يأسه من قيام الأعمال النافعة بأيدي الأفراد، وإلى أن القوم في وادٍ آخر.

وبقدر ما كنت تراه يحرص على إحياء آثار السلف لعلمه بأنها التركة الثمينة الناطقة بمدنيتنا النافعة في حاضرنا ومستقبلنا، كان يرغب عن إحياء الكتب التي يعتقد الضرر بنشرها، فقد كتب في (١٤ إبريل ١٩٢٣): «من أخبار الكتب أن السيد كاظماً الدجيلي كتب يسألني عن كتاب المثالب لابن الكلبي، وأنَّه عثر على قطعة منه بالعراق يود تكميلها، ولا يخفى أنه في مثالب العرب. فكتبت إليه أني لا أعرف عنه شيئاً، وقلت له: إنه وإن يكن يعد من النوادر، فليت كل نادر مفقود كان من نوعه فليذهب غير مأسوف عليه».

كلام عن تآليفه:

قلت: إن أحمد تيمور كان عزوفاً عن الناس، وكان أيضاً زاهداً في الشهرة فشهرته كانت تتبعه بالضرورة، وما كان في الواقع عبداً لها يتبعها فتستجيب له أو لا تستجيب، ولو قصد إلى الشهرة لكانت منه على طرف الثُّمام، ولكان يعني على الأقل بطبع مؤلفاته في حياته ويقلل من العناية ببحثها مكتفياً بما تهيأ له.

وأكثر ما ألفه وطبعه في حياته كانت تدعوه إليه الدواعي مثل رسالته في الرتب والألقاب، فقد كتب إليّ (في ٢٥ جمادى الأُولى ١٣٤٣): «وإني أشكر سيدي الأخ على تفكيره في إعادة طبع بعض آثاري التافهة التي لا تستحق هذه العناية، فرسالة الرتب والألقاب لم أضعها في الأصل لتطبع بل جعلتها مادة أقدمها للحكومة للمناقشة فيها في الوقت الذي عزمت فيه على تغيير الألقاب، فلما رأيتها أبقت على أغلب الألقاب الأعجمية ضربت عنها صفحاً، ثُمَّ رآها عندي السيد محب الدِّين الخطيب، فنقلها ثُمَّ تكرمتم بطبعها، وأما طبقات المهندسين فلا أظن في نشرها بمجلة المجمع فائدة بعدما نشرت بالهندسة، فلندع صفحات المجلة لما هو أفيد منها، وعسى أن أجد فرصة لأُعيد النظر فيها وأضم إليها زيادات أطبعها على حدة».

وكتب في (٢٢ ذي القعدة ١٣٤٣): «رحلت هذا الشهر لبعض البلاد المصرية ترويحاً للنفس؛ فقادني الطواف إلى المنصورة، وزرت بها أثراً تاريخياً نفيساً، هو بقايا دار ابن لقمان التي اعتقل بها الويز (لويس) التاسع في إغارته على مصر. وقد كتبت بحثاً عن هذه الدار رجعت فيه إلى المصادر العربية والإفرنجية وسلمته أمس قبل سفري إلى أخينا محب الدِّين لينشره في «الزهراء». وقد كان لهذا الأثر يا سيدي أثر في نفسي تذكرت به ماضينا، وسألت الله أن يلطف بنا في حاضرنا، ويهيِّـىء لنا منه مخرجاً، فهو اللطيف بعباده».

وكتب في (٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٠) بشأن كتابه التراجم ما نصه: «كتاب التراجم لم أشتغل به إلاَّ يسيراً، ومرادي أن يكون

خاصاً بأعيان الشرق في القرن الثالث عشر الهجري، أي أن يكون كالذيل لسلك الدرر، ثُمَّ ألحقه بذيل في تراجم أعيان أوائل القرن الرابع عشر، وكُلُّ ما أنجزته منه لا يخرج عن تمهيدات، وسألخِّص فيه من الجبرتي ومن «خطط علي باشا»، وأضم بعد ذلك ما أستطيع جمعه. إلاَّ أن معجم العامية المصرية، والكلام على أصولها وما يقابلها من الصحيح يستغرق أوقاتي كما تستغرق أوقاتكم «الخطط»، ومن الله تعالى نسأل الإعانة والتوفيق».

وقد أتم التراجم فيما أحسب، وكذلك «معجم العامية المصرية»، وهو من المدهشات في التحقيق اللغوي يدل على علم واسع جداً، وقد نشر منه نموذجات في «مجلة المجمع العلمي العربـي» في بضع مقالات، وربما كان هذا السِّفْر كتابه الخالد، لأنه صرف فيه أوقاتاً طويلة وجوّد كل الإجادة.

ومنها: كتابه نوادر المسائل، وكان كلما مرت به مسألة نادرة، أَوْ حادثة غريبة أَوْ توضيح لمشكلة خلال مطالعاته الكثيرة يقيد ذلك في كراسات، مع بيان أسماء هذه الكتب المشتملة على هذه النوادر، ورقم الصفحة التي احتوتها، واجتمع له منها شيء كثير، رأى في آخر أيامه أن يرتبه ويضم الشكل إلى شكله، ويطبع ذلك ويقدمه إلى العلماء والباحثين طرفة لم يقدم إليهم مثلها.

وقال الأستاذ السيد محب الدِّين الخطيب: إن هذا الكتاب هو الأم لمؤلفات تيمور باشا كلها، بل هو خلاصة مطالعاته واطلاعاته، وسماه: معجم الفوائد.

وللمترجم له من الآثار التي ألفها عدة رسائل، وكتب ومنها: البرقيات، وهي كلمات تؤدي كل منها معنى جملة كاملة.

ومنها: رسالة في التصوير عند العرب، نشرت في مجلة «الهلال»؛ ولكن زاد فيها زيادات عظيمة.

ومنها: الأمثال العامِّيّة، وهي نحو خمسة آلاف مَثَل عامِّي.

ومنها: لعب العرب.

ومنها: نقد القسم التاريخي لدائرة معارف فريد وجدي.

وطبقات المهندسين جرى فيه على نسق طبقات الحكماء للقفطي، وطبقات الأدباء لابن أبـي أصيبعة.

ومنها: ذيل طبقات الأطباء. كان يجمع مواده ويكتب مذكرات عن مصادره، ولا نظنه تمكَّن من إتمامه (مجلة الزهراء م ٥ ج ٧ ــ ٨ ص ٥٦٥).

ومن رسائله التي لم تطبع: الآثار النبوية.

ومفتاح الخزانة، خزانة البغدادي، وهي ثلاثة عشر فهرساً.

ومما طبعه رسالة في اليزيدية، وأُخرى في حدوث المذاهب الأربعة، وثالثة في تاريخ العَلَم العثماني، ورابعة في قبر السيوطي، وخامسة في تصحيح لسان العرب، وسادسة في تصحيح قاموس المحيط، وسابعة في أبـي العلاء المعرّي وعقيدته، وثامنة في الحلقة المفقودة من تاريخ مصر(١).

---

(١) لمزيد الزيادة في الكلام عن مؤلفاته وتاريخ طباعتها، واللجنة التي قامت =

ومن أهم ما عاقه عن نشر كثير من تآليفه ميله إلى التحقيق وإشباع الموضوعات حقها، أَوْ تحاميه أحياناً من الدخول في مآزق لا تسمح له تربيته بالتورط فيها.

فقد كتب بشأن رسالة التصوير ما نصّه: «أما التصوير فكنت كتبت مقالة عنه عند العرب في «الهلال» (٢٧ ـ ٥١٣ ـ ٦٠١) وربما كان فيها ما يفيدكم، ولكن هذه المقالة أصبحت لا شيء جنب ما جمعته بعد ذلك في رسالة خاصة أتممتها وأعددتها للطبع، تمنعني من طبعها الآن أن ذكر العرب حتى نبيهم عليه الصلاة والسلام بخير أصبح معدوداً عند عامتنا ومَنْ على شاكلتهم عنواناً لبغض الكماليين، فأخّرت الطبع خوفاً من الإهانة. وقد اطلع على هذه الرسالة صديقنا الأستاذ جريفيني، فأعجبته وشَدَّدَ عليّ في سرعة إظهارها، فذكرت له عذري في تركها الآن».

أما مقالاته التي نشرها في الصحف والمجلات في موضوعات علمية وأدبية وتاريخية ولغوية، فإنها لو جمعت لجاء منها مجلدان لطيفان نافعان.

فعسى أن تصحّ همة نجليه الفاضلين إسماعيل بك، ومحمود بك على أن ينشرا ما خلف الفقيد العظيم من نفثاته وتحقيقاته، خدمة للعلم وتخليداً لذكره في العالمين.

= بطباعة مؤلفاته بعد وفاته. انظر: «كتاب الرسائل المتبادلة بين تيمور والكرملي» ص ١٤، و «مصادر الدراسة الأدبية» (٢/ ٢٣٠).

تعصُّبه للإسلام والعربية:

كان أحمد تيمور متعصِّباً للعرب والعربية والإسلام، يهتم لذلك اهتمامه لأقدس شيء لديه، وكان إذا شم من بعيد رائحة شخص يريد السوء بمقدساته هذه، أَوْ يكتب فيها كتابات بعيدة عن مواطن الحقيقة يستعديه ويبتعد عنه، ويتأفف في باطنه منه.

ولما شاعت دعوة أنصار القديم والحديث في مصر، آلى على نفسه أَن لا يطالع من الصحف إلا «جريدة الأخبار» للمرحوم أمين الرافعي؛ لأن صاحبها متدين يدافع عن الإسلام والمسلمين، فلا يقرأ فيها ما تنقبض له نفسه، مع أنه أوسع الناس صدراً.

وكتب في هذا الشأن (يوم ١ جمادى الأولى ١٣٤٦): «ومن نكد الأيام أني لم أزل ممنوعاً من المطالعة والاشتغال بأمر الأطباء حَتَّى ضاقت الدنيا في وجهي وساءت أخلاقي؛ لأني لم أتعود الجلوس في الملاهي، ولا أدري كيف أقضي أوقاتي مع هذا الحجر، وقد منعوني أيضاً من مطالعة الجرائد التي لا تروق لي خطتها ولا تتفق مع مشربي، فصرت أقتصر على مطالعة جريدة «الأخبار»؛ لأنها توافقني، ولا سيما في المدافعة عن الإسلام والانتصار له، ومقاومة الإلحاد المعبّر عنه في لسان هذا العصر بالجمود أَو الرجعية، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله».

ولما تعرض بعض أصدقائه للنيل من المأمون ــ واسطة عقد الخلفاء وفخر الأمة العربية ــ أخذ يعالجه بالوسائط المنوعة كما يعالج الطبيب المريض، حتى اعتدل وعاد للانتصار للعرب ومدنيتهم، فكتب

نبذة في «الأهرام»، نصحه في آخرها أن يعيد سيرته الأُولى التي لم ينل شهرته إلَّا بها.

وله مع صديقه هذا مناقشات في الصحف والمجالس؛ لأنه يبرر عمل الكماليين في نزع الخلافة مما لا يتسع له هذا المقام.

وكان غضب تيمور من صديقه هذا مما لا يستكثر من غيور على الاحتفاظ بمقدسات أمته.

ولما ألّف الأستاذُ علي بك عبد الرزاق كتابه في الإسلام وأصول الحكم، خالفه تيمور في اجتهاده، وتألم لما كتب ألماً شديداً.

وكتب لي يصف هذه الفتنة ويستحسن أقوال من ناقشوا المؤلف في موضوعه.

ولما رأى أنني تصدَّيت لنقد كتب بعض أنصار التجدد في مجلة «المجمع العلمي» طرب واغتبط، وتألم لما قرأ تقريظاً لي لبعض نبغائهم، ولكن أدبه حال دون التصريح بذلك.

كتب مرة (٢ شعبان ١٣٤٣): «وإني من رأيكم في اقتدار الشيخ.. وجودة أسلوبه وعدم الموافقة على بعض آرائه المتطرفة، وخصوصاً عن العرب وآدابهم؛ فإنه كثير الغض منهم في كل شيء، ومن دواعي الأَسف أَن هذه الآراء السخيفة تنشر اليوم بسرعة بين الناشئة، حَتَّى صار من المضحكات عندهم التحدث ببلاغة القرآن، أَوْ بفضل العرب؛ إنا لله وإنا إليه راجعون. وسيدي ـ حفظه الله ـ أعرف مني وأسدُّ رأياً في أسلوب الرجل، وغاية ما يظهر لي مع

إعجابـي به كثرة التكرار في بعض المواضع، والظاهر أنه يتعمده لأنه يستحسنه، ويظن أنه طريقة جديدة تروق للقراء. . . ».

بل إن أحمد تيمور كان يتألم لأقل من هذا إذا كان فيه العبث بمشخصات الأمة، فقد جاء في رسالة (في ٢٠ آذار ١٩٢٤): «لما كانت لجنة عمل الدستور مجتمعة في العام الماضي، وشاع أنها ستسمي المجلسين بالبرلمان، قدم لها بعض الفضلاء، ومنهم الأُستاذ الشيخ أحمد الإسكندري عضو مجمعنا اقتراحاً بتسميتها بدار الندوة، فعارض بعض أعضائها في ذلك، وكان المشايخ المعممون منهم أشد معارضة، وعلى هذا سمي أكبر مظهر من مظاهر استقلالنا باسم أعجمي، مع وجود الاسم العربـي عند العرب من زمن الجاهلية، ولله الأمر من قبل ومن بعد».

عطفه على من يعطف على العربية:

ولقد كـان على تعصُّبه لأُمته ودينه وقوميته وعربيته متساهلاً مع من يخالفونه في معتقده، ولطالما خرج أمثالهم من مجلسه، وبما رأوا من عنايته بهم، خصوصاً إذا كانوا من المشتغلين بالعلم والأدب، ما أطلق ألسنهم بشكره، وعقد قلوبهم على حبه، وأورثهم حسن الظن بهدي دينه وتاريخ أمته، وأيقنوا أن الرجل قد يتعصب لمشخصاته، ولكنه يريد الخير كله لمن يوافقونه من بعض الوجوه على ما تشبّعت به نفسه، ويحكمون على ما يرون بالمعقول والمنطق، وقد اقترح على المجمع العلمي أن يضم إليه الأُستاذ أسعد داغر لأنه خدم اللغة العربية.

وشق عليه ما نال الأُستاذ الأب أنستاس ماري الكرملي يوم غضب عليه رؤساؤه في ديره ببغداد، وقضوا عليه أن يذهب للاعتكاف في دير لهم في جبل الكرمل متخلياً عن كتبه وتآليفه، وسعى للإفراج عنه ليرجع إلى بلاده، وحتى لا تحرم اللغة نفثات قلمه، ولا سيما من «معجمه الفرنسي العربي» الذي أقام على تأليفه زهاء ثلاثين سنة، وأودعه من الفصيح كلمات كثيرة نحن في أشد حاجة إليها، ساءه لما حل بصديقه؛ لما كان لهذا العلاّمة من الآثار النافعة في اللغة.

ولقد خدم الأُستاذ عيسى اسكندر المعلوف أنواع الخدم العلمية؛ لأنه أيقن أنه يخدم اللغة العربية بأبحاثه. وكل من يخدم اللغة والعلم هو حبيبه.

ولقد أعجب مرة بمقالة الأُستاذ أنيس سلّوم في التعريب، نشرت في «مجلة المجمع»، فكتب في (٢٥ صفر ١٣٤١): «فإني ما كدت آتي عليها حتى علمت أن للعربية أنصاراً وإن قل عديدهم، وأن لطف الله لم يزل حافاً بهذه اللغة بعد أن كنت في يأس عظيم من إنهاضها؛ لا أرى فيها إلا استجابة دعوة جرول في قوله لأمه:

جزاك الله شرّاً من عجوزٍ ولقّيت العقوق من البنينا

كما رآها من قبلي أبو العلاء في الدنيا...».

كتبت إليه مرة أوصيه بأحد أصدقائي من رجال فرنسا الأُستاذ المستشرق السيد أميل بيات، وكان يريد أن يزور الأزهر ويتعرف إلى القاهرة من طريق العالمين لا السياسيين، فأدهشه بما أطلعه عليه، ومَنْ

عرفه إليهم من رجال العلم، وما أغدق عليه من ضروب الإكرام حتى جاوز كلام صديقي بعد انقلابه إلى بلاده في شكر أحمد تيمور حداً عجيباً.

وبهذه العناية بالموصى عليه وبأمثاله من أبناء الشرق وأبناء الغرب، أبان فضل مصر وفضل أبنائها على العلم، وبلوغهم درجة عالية من الحضارة والثقافة، وبالتالي أورث بعمله حسن الظن بالمسلمين عامة والشرق خاصة(١).

---

(١) يقول المستشرق الروسي كراتشكوفسكي في كتابه «مع المخطوطات العربية» ص ٦٥: «أحمد تيمور باشا، المصري، صاحب أحسن مجموعة خاصة من المخطوطات في القاهرة، كان قد جمعها بحب كبير وسعة معرفة، كان هذا العالم كريماً لدرجة عجيبة. فقد كشف كل كنوزه لمختلف العلماء من مختلف البلاد. وكان هذا العالم متواضعاً نادر الوجود. فقد كان يجعل نفسه زميلاً في العمل لمن يراسله من العلماء إذا أحس بأن لدى هذا المراسل تذوقاً للأدب العربي».

ويقول في موضع آخر ص ١٠٣، ١٠٤ حيث ذكر زيارته لمكتبة تيمور وأسفه الشديد حيث لم يلتق بصاحبها: «... وفي النهاية تركت له بطاقة طالباً منه ــ أي الخادم ــ أن يعطيها للباشا عند عودته، ثُمَّ توجَّهت عائداً إلى المحطة، وهناك وجدت أن القطار قد ذهب منذ فترة قصيرة، وكنت مضطراً لانتظار طويل، ولم يبق على رصيف المحطة أحد غيري سوى ماسح أحذية صغير...» إلى أن يقول: «وسألني الصبي ــ أي ماسح الأحذية ــ بطريقة عملية عن الغرض من رحلتي، وعندما سَمِعَ اسم «تيمور باشا» أخذه نوع من النشوة، فقال: أعرف... أعرف... إنه يسكن هنا طول العام، ويقرأ الكتب =

وهذه هي الوطنية الحقة، ولو كثر هذا العدد من دعاتنا على هذا النحو، لتعريف الغرب بفضل الشرق، لما أساء بعض الغربيين الظن بنا وبمجتمعنا، ولما صغروا من شأن مدنيتنا في الغالب تصغيراً قائماً على الهوىٰ والجهل معاً.

آخـرة المتـرجـم:

قلَّ أن تمت لسعيد سعادته، وبينا كانت السعادة ترفرف ظلالها على دار أحمد تيمور، وقد تزوج من امرأة فاضلة، وهي كريمة المرحوم أحمد رشيد باشا، أحد وزراء مصر، فولدت له ثلاثة أولاد: إسماعيل، ومحمد، ومحمود؛ فتعلَّقت إرادة المولى أن يفقد زوجته وهو في التاسعة والعشرين من عمره (ولد سنة ١٢٨٨هـ، وتوفيت زوجته سنة ١٣١٧) فلم يرضَ أن يتزوج ثانية، وقال لي وأنا أحثه على

= دائماً، ولديه من الكتب ما لا يوجد في القاهرة نفسها. وإنه ليأتي إليه حتَّى شيوخ من الأزهر».

ويقول النصراني فِيلِيب دي طَرَّازي في كتابه «خزائن الكتب العربية في الخافقين» ص ٢٠٣: «إذا ذكرنا رجالات العلم المقرون بالعمل في وادي النيل، وجب أن نثبت في طليعتهم اسم العلاَّمة الهمام أحمد تيمور باشا، مؤسِّس الخزانة التيمورية بالقاهرة.

فإن هذا السري الغني نزع إلى خدمة العلم لأغراض سامية لا لمغنم يغنمه أو لجاه يفوز به. ولفرط ميله إلى أئمة الثقافة جعل منزله الرحب مجلساً للأدب، يؤمّه جهابذة اللغة وروّاد الحكمة.

عرفنا أحمد تيمور باشا معرفة شخصية، وجمعتنا به مراراً رابطة الأدب، فأكبرنا همَّته الشمّاء...».

الزواج: المسألة معقَّدة من وجهين، الأُولى: أنه يتعذر وجود زوجة تشبه أم الأولاد بعقلها وأدبها وصيانتها؛ والثانية: أني أخاف على أولادي من خالة تنغِّص عليهم عيشهم.

وكان كما أراد، فعاش أرملاً متبتلاً ومثال الوقار والصون والعفاف.

وكان المترجَم له متديناً تديناً حقيقياً، ولم يعرف عنه أنه ترك صلاةً ولا صوماً. وحج مرة، كما زار أوروبا مرة، وزار الشام مرة، والآستانة مرة، وكان القرآن يُتلى أبداً في داره، وفي عزبته، وفي ذهبيته، وأحاديث الرسول ﷺ والحكماء تُردَّد في ناديه، ولم يعهد أن غشيه أرباب المساخر والملاهي، أو مال يوماً إلى مصاحبتهم، بل كانت أوقات فراغه كلها مصروفة في الجد، يتخللها بعض المزاح المقبول مع خاصة أصحابه.

وكان إذا اتفق أن ألقى أحد المختلفين إليه كلمة هجر يتصامّ عنها ويلوي وجهه، وربما احمرَّ خجلاً، كأنه هو الذي قالها.

ولو كان حظ خاصة المصريين من الجد حظ هذا الرجل العظيم، لبلغت مصر في مدنيتها شوطاً أوسع من الشوط الذي بلغته.

ولقد عني بتربية بنيه التربية الحسنة، وعلَّمهم العلوم العالية، ولكن أصيب منذ عشر سنين بفقد ثاني أولاده محمد، وكان من أرقى شباب مصر علماً وأدباً وجمالاً وكمالاً، وجواب تعزيتي له قوله في (١٣ رجب ١٣٣٩): «فشكراً لسيدي الأخ الأعزّ على ما تفضَّل به من

مؤاساتي في مصيبتي العظيمة التي هدَّت ركني ونغَّصت عليَّ ما بقي من أيامي».

وكان كما قال لا يكاد يتجه بعدها نحو الصحة حَتَّى ينعكس، وأصبح أكثر الأحيان من المتشائمين لا المتفائلين، ويزيد ذلك كلما تراجعت صحته وأيقن بقرب منيّته.

كتب (١٩ يوليه ١٩٢٤): «وقد أشار عليّ طبيبي حينما استدعيته أمس بالسفر إلى أوروبا، وعيّن لي بلدة بألمانيا يقصدها المرضى بالقلب، فلم أقبل لأني لا أستصوب السفر إلى هذه الدِّيار، وأنا مصاب بمرض خطير، بل أفضِّل البقاء بين ولديّ، وأحب أن لا أتعبهما في موتي كما لم أتعبهما في حياتي».

نعم كان العقد السادس من حياة عظيم العلماء، ونابغة المصريين حياة نغص وغصص، ومع هذا كان لا يضن بوقته على إفادة قاصديه، ويكلف صحته أكثر من طاقتها لنفع الناس، وكان خاصة أصحابه يمتنعون عن مراسلته أَوْ زيارته لئلا يكلفوه في قضاء الواجب نحوهم ما قد يضر بصحته، حَتَّى ناداه ربه إلى جواره في صبيحة يوم السبت ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٨ (٢٦ أبريل ١٩٣٠).

فكان لمنعاه في مصر والبلاد العربية، وفي مجامع علماء المشرقيات في الغرب رنة أسى وحسرة، وذكره الناس بالرحمة، وعزى بعضهم بعضاً على فقد رجل الإسلام والعرب.

وشمل الحزن عامة الطبقات المفكرة، رحمه الله عداد حسناته للعربية والعروبة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أيها السادة: هذا ما عرفته من حياة صديقي الذي عددت فجيعتي به من أعظم الفاجعات، وعلم الله أنني ما ألقيت عليكم من صفاته إلَّا ما ثبت عندي ثبوت الشمس والقمر.

ولم أحاول أن أكتب فيه سطراً إلَّا بعد أن انفثأت بعض سورة الحزن عليه، وعسى أن يسعني عفوكم فتسبلوا ذيل المعذرة على ذكر اسمي، خلافاً لعادتي، مقروناً إلى اسمه الكريم في هذه المحاضرة؛ بيد أني لم أرَ مخلصاً من ذلك، لأن المسألة مسألة ذكريات شخصية لا بدّ فيها من ذكر الفريقين، والله يرحمنا ويتولانا بمعونته.

* * *

هذا نص الإهداء الذي أشار إليه محمد كرد علي، في أثناء ترجمته للعلاَّمة أحمد تيمور باشا ص ٢٧، وقد ذكر هذا الإهداء في مطلع كتابه «خطط الشام»، فقال:

الإهـــدَاء

صديقي الأبَرّ العلاَّمة العامل أحمد تيمور باشا حفظه الله:

رأيتك بعد عالمي مصر والشام، ومفخر العرب وحجة الإسلام، أستاذينا المعظمين الشيخ محمد عبده والشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله، فرداً في المعاصرين من بني قومي، بأخلاقك الطهر، وعلومك الغر، وحرصك على نشر آثار السلف، وتفانيك في تثقيف عقول الخلف.

ولقد أوليت كتاب «خطط الشام» من معارفك وعوارفك قسطاً عظيماً وهو لم يبرح، عَلِمَ الله، غرساً ضئيلاً، فلما أن أورق عوده، وأطعمت شجرته، كانت خزانة عَلَم الأعلام في عاصمة النيل، أحق أن تهدى إليها ثمرةٌ طال التوفر على تعهدها في جنات دمشق.

لم تفتأ تبعث همتي على العمل، وتأخذ بيد عجزي لأقوى على

إخراج هذا السفر للناس، فالآن وقد تحققت الأماني تفضل وزد في الإحسان، واقتطع من وقتك الثمين ساعات ترشدني بها إلى مواطن الضعف منه، فتقلدني من مننك اللاحقة، قلادة فوق قلائدك السابقة.

وإني لمعترف بقصوري عن وفاء حق مروءتك ووفائك، في زمن قلَّ فيه أهل المروءات الأوفياء، ممن لا تبطرهم المظاهر الغرارة، ولا تسكرهم النعم الدرارة، ولا تغيرهم البيئات والأجواء.

أعزَّ الله بحياتك دولة العلم والأدب، وعلَّم العاملين من إخلاصك ما يستعيدون به عزَّة العرب، وأقال هذه الأمة المحبوبة عثرات الليالي ونزوات الأيام، وقيض لها من ينعشها بالعلم من تشتت الكلمة والتواء الأعلام، ليعلو في المجتمع الإنساني سعدها، ويرتفع في أمم الحضارة الحديثة مجدها، بحوله وطوله.

محمد كرد علي

أحمد تيمور باشا[1] وأحمد زكي باشا[2]

ترجم محمد كرد علي لصديق أحمد تيمور وهو أحمد زكي في كتابه «المعاصرون» ثُمَّ ذكر في آخر ص ٥٧، ٥٨، إلى الفرق بين شخصية كل منهما فقال:

«قلت في محاضرة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة في أحمد تيمور وأحمد زكي: إن طريقة أحمد زكي فيما كتبه وترجمه ونشره أقرب إلى أن تكون غربية منها إلى أن تكون عربية. والعربية في آثار تيمور محسوسة أكثر من الإفرنجية، والإفرنجية في كتابات زكي شائعة أكثر من العربية، والروح الديني يتجلى في تيمور، والروح المدني غالب على زكي.

فكأن هذا مستشرق شرقي، وذاك شرقي قبل كل شيء: شرقي بتقاليده وهدايته وتربيته وثقافته. وتيمور جال في دائرة ما أحب أن يخرج عنها طول عمره، وكذلك كان زكي، إلاَّ أن الدواعي والبواعث كانت تضطر هذا إلى تجاوز الحد الذي رسمه لنفسه. ولئن كانت منطقته أوسع فلم تكن في كل حين أمنع وأمتع.

خاض زكي في المجتمع وتغلغل في تضاعيفه، وقبله بما فيه من

حسنات وسيئات أكثر من صنوه تيمور. وهذا ـ أي تيمور ـ ابتعد عن المجتمع، ولم يحب أن يتعرف إلاَّ إلى طبقة خاصة لا تنغص عليه عمله وإسلامه.

وهنا ظهرت بعض الشيء أرستقراطية تيمور وديمقراطية زكي. كانت حياة زكي مرحة يتمتع بمباهجها ومناعمها على ما يشتهي ويتعجل النعيم لا يرجئه، وحياة تيمور عابسة فيها شيء من الانقباض، وفيها عزوف، وكلاهما كان صادقاً في مشربه، صادقاً في سيرته، غير مدلِّس ولا مُؤالس، ولا مُتَنَطِّس ولا مُتَنَمِّس ولا مُتَزَمِّت[1].

فَنِيَ تيمور فيما أحب من صنوف الآداب، أما زكي فلم يفن الفناء كله، فأخذ من حياة العمال والسياسيين، وحياة المسرفين والمترفين. وكلاهما حكمت عليه بيئته أن يكون ما كان.

إن عدد من أخذ عنهم تيمور من الشيوخ كان أكثر من عدد من أخذ عنهم زكي، وكانوا في ذاتهم أشد تديناً وغيرة على الدّين.

وكان عدد من أخذ عنهم زكي من العصريين أكثر من عديد مَنْ أخذ عن أمثال طبقاتهم تيمور. فجاء تيمور عالماً إسلامياً قبل كل شيء، يحب الانتفاع بما أنتج أهل الغرب، وجاء زكي عالماً شرقياً يشبه علماء الغربيين إلى حد بعيد. كلاهما اشترك في فضيلة الوفاء والكرم».

* * *

(١) الألس، بضم الهمزة وسكون اللام: الخيانة والغش والكذب والريبة وأخطاء الرأي. وتنطّس: تأنق، تقذر. وتنطّس عن الأمر: بحث عنه واستقصى. ونمس الأمر: ألبسه وأبهمه.

أحمد تيمور باشا

وفاته وملخص ترجمته[1]

في صبيحة ٢٧ من شهر ذي القعدة الماضي انتهت حياة رجل لا كالرجال، وفرد لا كالأفراد ــ إلَّا أن يراد بالأفراد نحو مما يريده الصوفية ــ ألا وهو صديقنا وأخونا في الله عز وجل الأُستاذ العَالِم المؤرخ الأديب السَّلفي أحمد تيمور باشا.

المشهور بأخلاقه العالية، وعلمه وأدبه، ولكنه على شهرته يكاد يكون مجهولاً عند الأكثرين بخصوصيته، فهو من شهداء الله وحججه على خلقه في دينه وفضائله، ونادرة من نوادر هذا الزمان في مجموعة مزاياه، رحمه الله تعالى وأكرم مثواه، وقد خسرت الأُمة العربية بفقده ركناً من أركان علماء لغتها الخادمين لها بما تقتضيه حال العصر، وخسرت الأمة الإِسلامية مسلماً مخلصاً لدينه وأمته مدافعاً عنهما غيوراً عليهما.

ذكر في بعض الصحف أنه ولد في ٢٢ شعبان سنة ١٢٧٨[2]،

---

(١) «مجلة المنار» للعلاَّمة محمد رشيد رضا (٣٠/ ٧٨٤ ــ ٧٩٠).

(٢) الصواب: ١٢٨٨هـ.

وأنَّه لما دخل في سِن التمييز اختار له والده إسماعيل باشا تيمور رئيس الديوان الخديوي من المعلمين من يلقنه مبادىء القراءة والكتابة في داره.

وأنه تلقى التعليم الابتدائي العصري في مدرسة مارسيل الفرنسية، وأن نفسه جنحت بعد ذلك لدراسة الفنون العربية والعلوم الدينية، فأخذ أولاً عن الشيخ رضوان محمد المخللاتي، ثُمَّ عن الشيخ حسن الطويل الشهير، الذي كان جامعاً بين العلوم الشرعية والعقلية والتصوف، وأنَّه كان يتردد على الشيخ محمد التركزي الشنقيطي الكبير، فيتلقى منه ما شاء من اللغة العربية وآدابها.

ثُمَّ أقول: إن الفقيد ــ رحمه الله تعالى ــ قد اشترك في «صحيفة المنار» من أول العهد بإنشائها، ثُمَّ عرفته معرفة شخصية منذ شهر رمضان سنة ١٣١٦ إذ كان يحضر كل يوم درسي الذي كنت ألقيه في المسجد الحسيني في عقائد الدِّين وأصوله الإصلاحية العالية، بأسلوب خطابي اهتزت له مصر، وكاد يحدث فيها ثورة دينية بما كنت أفنده فيه من البدع والخرافات التي شوهت تعاليم الإسلام الصحيحة، حَتَّى كنت كثيراً من الأيَام ألقاه عند خروجي من المسجد، فنمشي في خان الخليلي ثُمَّ في السكة الجديدة نتحدث في موضوع الدرس، وحال المسلمين في هذا العصر، فوجدته موافقاً لي في كل ما كنت أنكره من تغلغل نزعَات الشِّرك في القلوب، وانتشار البدع والخرافات في الأعمال، وفيما يجب من الإصلاح الإسلامي، وجدته موحِّداً، فحلاً، لا مخنثاً بين فحولة التنزيه وأُنوثة التشبيه، يتفصى من النصوص بخلابة التأويل.

ثُمَّ كان يحضر معنا دروس الأُستاذ الإمام في الأَزهر، وفي أثناء ذلك اقترحت على الأُستاذ أن يعقد مجلساً خاصاً لبعض إخواننا المستعدين لتلقي حكمة الإسلام العليا من خريجي دار العلوم، وأساتذة المدارس الأَميرية وغيرهم، يتخولنا بها في بعض أوقات الفراغ، فقبل الاقتراح، واخترنا دار أحمد بك تيمور في درب سعادة لهذه الدروس العالية؛ إذْ كان هو أحد الراغبين فيها، فاجتمعنا فيها مراراً، وكنا نذهب في بعض الأيام إلى (عين شمس) فنتلقى الدرس أَو المحاضرة في دار الأُستاذ الإمام نفسه هنالك.

ثُمّ ابتاع فقيدنا اليوم داراً في عين شمس بقرب دار الإمام فأقام فيها.

تسنى لي في تلك المدة معاشرة أحمد تيمور وكثرة مجالسته، فرأيت منه شاباً غنياً توفيت زوجته عن أولاد صغار، فأبـى أن يتزوج على كثرة البيوتـات التي تتنافس في صهر مثله في كرامة بيته وسعة ثروته وحسن سيرته، وإنَّمـا أبـى خوفاً من كراهة الزوج الجديدة لأولاده ومضايقتهم له في تربيتهم، فاختار العزوبة مع العفة والصيانة التَّامة لأجلهم، على حين نرى أمثاله من الأغنياء لا تحصنهم الزوج الواحدة ولا الزوجانِ ولا الثلاث، ولا يبالون في طاعة شهواتهم ما يكون من سوء تأثيرها في الأولاد، وأما الآخرة فلا تكاد تخطر لأكثرهم في بال.

وكانت لذته من الدُّنيا أَوْ في الدنيا جمع الكتب العربية النفيسة، ولا سيما المخطوطات القديمة النادرة، وجرى في هذا على عرق

وراثة، وَجَدَ في دارهم مكتبة صغيرة فما زال يزيد عليها حتَّى أسس خزانة لها احتوت عشرين ألفاً من الأَسفار في جميع العلوم والفنون، منها ما لا يوجد أَوْ لا يوجد مثله في غيرها حتى دار الكتب المصرية العامة، ولم يكن حظه منها مجرد الجمع والتلذذ بالاحتواء والملك كما يعرف عن بعض عشاق الكتب الذي ينظرون إليها نظرهم إلى غيرها من أعلاق العاديات والآثار التاريخية، بل كان يقضي جل أوقاته في المطالعة والمراجعة، وبعضها في كتابة المقالات والرسائل وتصنيف الكتب، وكان يتروى فيما يخطه ويكثر التأمل والمراجعة حَتَّى يكون محرراً منقحاً كما يحب، وأكثر ما يعنى به التاريخ واللغة.

وله مصنفات مفيدة منقحة لعل نجليه الكريمين يطبعانها كلها إحياء لذكره الحميد، فلا سبيل لهما إلى بره مثل هذه السبيل، فمما علمنا من أسماء مصنفاته:

١ ــ كتاب معجم اللغة العامية. استقصى فيه ما علمه بالبحث الطويل من الألفاظ العامية، وبين ما له أصل عربي وما ورد في معنى ما ليس له أصل.

وغرضه من هذا دحض شبهة بعض ملاحدة أدعياء التجديد، الذين يدعون إلى جعل اللغة العامية لغة العلم والتعليم، ويدَّعون أنها أصلح وأوفى بحاجة العصر من العربية الصحيحة، وكان يمقت هؤلاء المتفرنجين ويحتقر دعواهم التجديد.

٢ ــ ذيل لهذا المعجم في الأمثال العامية.

٣ ـ كتاب معجم الفوائد. وهو كتاب كان يجمع فيه ما يعثر عليه من الفوائد المهمة في الفنون العربية والتعبيرات البليغة والمسائل الشرعية، وغيرها مما حققه بعض العلماء ويحتاج إليه أهل العلم، وقلما يهتدون إليه بالمراجعة لخفاء مظانه، فكان يرتب ذلك على حروف المعجم لتعبيد طريقها لمن يريدها.

ومن المعلوم بالبداهة أن هذا الكتاب لم يتم، ولكن الموجود منه لا يتوقف على غيره؛ لأنه فوائد متفرقة، لأبواب علمية متسقة، فالانتفاع بها، ليس مرهوناً باستيفاء مباحثها.

٤ ـ ترجمة أبـي العلاء المعري، والمرجو أن يكون فيها فصل الخطاب في كل ما اختلف فيه الناس من أمره ولا سيما عقيدته؛ لأن فقيدنا رحمه الله قد اطلع على ما لم يطلع عليه غيره من أقوال المعاصرين والغابرين فيه.

٥ ـ كتاب وفيات القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة، وقد استعان عليه بمكاتبة من عرفهم من أهل العلم في الأقطار المختلفة ولم يقتصر على ما اطلع عليه في الكتب الكثيرة، وكان هذا التصنيف ديناً على علماء التاريخ العربـي قام به من هو أجدر به، والظاهر أنَّه كان يتوقع فيه المزيد من العلم كمعجم الفوائد، وأنه لذلك لم يبيضهما.

٦ ـ مفتاح الخزانة وهو ١٣ فهرساً لخزانة الأدب الكبرى للبغدادي، لا تتم الاستفادة من هذا الكتاب النفيس الجامع في آداب اللغة وتاريخها وتراجم رجالها بدونها، لمن يريد مراجعة المسائل والتراجم عند الحاجة إليها.

٧ ـ نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة في فقه أهل السنة وانتشارها في الأقطار، وأين يكثر كل مذهب منها؟

٨ ـ تاريخ اليزيدية. وأجدر به أن يكتب حقيقة تاريخهم.

٩ ـ رسالة في العلم العثماني ـ أي علم الدولة العثمانية ـ بين فيها أصله ومأخذه وتاريخه وأخذ العلم المصري منه، وهي مطبوعة.

١٠ ـ رسالة في قبر الحافظ السيوطي. وهي مطبوعة.

١١ و ١٢ ـ رسالتان في تنقيح لسان العرب، والقاموس المحيط وهما مطبوعتان.

وله مقالات في بعض المجلات آخرها ما كانت تنشره مجلة «الهداية الإسلامية» في (الآثار النبوية)، والمراد بالآثار هنا ما يسميه بعضهم المحفوظات، وبعضهم المخلفات النبوية كشعره ﷺ وبردته وغير ذلك، وكذا ما يذكر من الأحجار التي فيها أثر الكف أو القدم، وقد نشر في «الهداية» بضع مقالات من ذلك، يظهر أن لها تتمة، ومع هذا يمكن طبعها مستقلة.

وقد جعل خزانة كتبه وقفاً، وبنى لها داراً في ضاحية (الزمالك) من ضواحي القاهرة، ووقف عليها أرضاً (أطياناً) يكفي ريعها لنفقاتها والزيادة فيها. ولكن وجودها هنالك يحول دون الانتفاع العام بها.

ولم أر له ميلاً في صباه إلى شيء من اللهو المباح فضلاً عن المحظور أَوْ المكروه، إلَّا أنه كان يرتاح إلى شيء من سماع الأقوال

الشاذة المستغربة من رأي أَوْ خبر، وكان هذا من أسباب ارتياحه إلى مجالسة الأُستاذ الشيخ طاهر الجزائري ـ رحمهما الله تعالى ـ فقد كان لديه من ذلك الجم الكثير، وأما أول أسباب عشرته وحبه.له فهو كونه من علماء الدِّين الميالين إلى الإصلاح العارفين بحال العصر، وما له من الاطلاع الواسع على نفائس الكتب العربية في خزائنها المشهورة في الشرق والغرب، مع العلم بقيمتها العلمية والتاريخية، وهو الذي دله على الكثير منها، وكان الشيخ طاهر جمع كثيراً من هذه الكتب المخطوطة النادرة، وقد اضطر إلى بيع بعضها عند الحاجة إلى الدراهم في مدة إقامته بمصر، فاشترى صاحب الترجمة كثيراً منها فيما بلغني، ولو كان الشيخ طاهر يقبل من أحد مواساة مالية لكان له من صديقه الوفي المخلص أحمد تيمور ما يكفيه وفوق ما يكفيه مع الإخفاء والكتمان، ولكن كان له من عزة النفس بالعلم وشرف البيت، ومن العفة والقناعة بأدب الدِّين ما يربأ به عن ذلك، رحمه الله تعالى.

ومما عرفناه وشاهدناه من ترويح فقيدنا الكريم نفسه بسماع الآراء الشاذة أنه كان يختلف إليه في داره بدرب سعادة شيخ كبير السن سبق له اشتغال بطلب العلم، ثُمَّ صَار له خواطر في التصوف والمهدي المنتظر، بل كان يعتقد أنه هو، فكان الفقيد يكرمه ويسمع له ما ينطلق به لسانه من الخواطر الغريبة والأفكار الشاذة، ويضحك كثيراً، وربما فتح له هو أَو من حضر من أصدقائه أبواب الحديث.

ومما سمعناه منه مراراً في تلك الدار الانتقاد على الأَستاذ الإمام بإغراء المجلس أن إسماعيل باشا صبري قال له مرة: إن الشيخ محمد

عبده المفتي يضع الشال الكشمير أحياناً على ذراعه كما يفعل الإفرنج بوضع أرديتهم ومعاطفهم على أذرعتهم، وقال له مرة: إن المفتي يدخن بالسجاير الإفرنجية دون السجاير الإسلامية!! فكان يرفع عقيرته في الإنكار والاستعاذة بالله تعالى من هذا الزمان الذي صار فيه مفتي الإسلام يفعل فعل النصارى ويستعمل سجاير النصارى!!

وتارة يستبعد تصديق ذلك ويقول لإسماعيل باشا أو لتيمور بك: بالله العظيم يا باشا، بالله العظيم يا بك، مفتي الإسلام يشرب سجاير نصرانية؟ فيقولان: نعم نحن رأيناه بأعيننا. فيقول: أعوذ بالله، لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، فسد الزمان... وكنا كلنا نضحك من هذه السذاجة والغفلة، وتصديق الرجل بأنه يوجد سجاير إسلامية وسجاير نصرانية!!

كان الفقيد يرتاح إلى هذا، ولكنه كان يُفْهِم ذلك الشيخ المجذوب بعد ذلك حقيقة المسألة، وأنها ممازحة، وما كان يقبل من أحد دون ذلك طعناً في الأُستاذ الإمام، وقد زعم بعض الذين كانوا يدينون بافتراء الكذب عليه أنه لا يصلي، فرد عليهم بلطف وهم في داره وقال ما يعلمه من قوة دين الإمام وعبادته، ولم يلبثوا أن دخل عليهم خادم كان يتردد عليه للخدمة مدة وعلى علي باشا رفاعة أخرى بالتناوب لخدمة خاصة، فلما دخل عليه في غير موعده سأله عما جاء به فأجاب بما حاصله: أنه جاء الباشا ضيف اسمه الشيخ محمد عبده فوكلني بخدمته، فإذا هو يقوم بعد نصف الليل بقليل فيتوضأ ولا يزال يصلي إلى قرب طلوع الفجر، ولا ينام إلاَّ قليلاً بعد صلاتها، وأنا

مضطر لانتظار خدمته ما دام مستيقظاً، فلم أطق صبراً على ذلك ففررت من هذا الضيف الثقيل.

فقال الفقيد لمن حضر: الحمد لله الذي أظهر لكم الحق بما لا شبهة فيه لأحد. فوالله إنني لم أر هذا الخادم منذ كذا من الأيام.

وأقول: إن الإمام ــ رحمه الله ــ كان يتردد أحياناً على صديقه علي رفاعة باشا في داره بمهمشة بالقرب من إدارة السكة الحديدية، للمطالعة والمراجعة في كتب والده المرحوم الشيخ رفاعة، وأما قيام الليل فلم يكن يتركه في إقامة ولا سفر.

ذكرت هذا لأبين لقراء «المنار» أنني ما عهدت من هذا الرجل في شبابه شيئاً من اللهو والهزل للتسلية غير هذا، وقد تركه كما أظن في كهولته، وقلما يوجد في الدنيا شاب غني وجيه يترك جميع لذات الدنيا وشهواتها المباحة، غير المعتاد من الطعام اللائق ببيته، ويصرف جميع أوقاته في الدراسة والمطالعة والكتابة، ثمَّ إنه في السنين الأخيرة توجه إلى بعض الأعمال النافعة للأُمة وأهمها مساعدة الجمعيات الإسلامية كجمعية مكارم الأخلاق، وجمعية الشبان المسلمين، وجمعية الهداية الإسلامية، وهو صاحب الفضل الأول في تأسيس الجمعية الأخيرة، وفي إنشاء مجلتها، وجريدة «الفتح» بمالِه وبنفسه وبقلمه.

وجملة القول فيه: أنَّه كان موحِّداً سلفي العقيدة[1]، مهذب

---

(١) وقال محب الدِّين الخطيب: «وكان رحمه الله سلفيَّ العقيدة معتدلاً في كل أموره بعيداً عن الغلو، محترماً لرجال السَّلف مؤمناً بوجوب التأليف بين قلوب أهل القبلة». «مجلة الزهراء» (٧/ ٥٦٣).

الأخلاق، عالي الآداب، محباً للإصلاح، ومبغضاً للتفرنج والإلحاد، وقد تجدد له أمل في نهضة الإسلام بالدولة السعودية. وما عَزَتْه إليه بعض الصحف من ارتيابه في حقيقة الوهابية، وقوله في شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم أنهما كانا عالمين لا زعيمين؛ ينافيه علمه الواسع بالتاريخ، فهو افتراء عليه أو سوء فهم من الناقل عنه.

وذكر لي بعض أصدقائي وأصدقائه أن له صدقات سرية كان يتحرى فيها أن لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، وحسبه من الصدقة الجارية وقف كتبه الثمينة وما وقف للنفقة عليها.

قد يقال: إنه لو كان يظهر زكاة ماله للاقتداء به لكان أفضل من إخفائها، ولٰكنه كان أعلم بحال نفسه وحال وقته وما هو أفضل له.

توفي ــ رحمه الله تعالى ــ فجأة بسكتة قلبية، وكان عرض له ضعف القلب من سنين مع مرض الصدر، واشتدت عليه وطأته بمصابه بنجله الكبير محمد بك.

ثُمَّ إنه ترك التدخين فحسنت حاله الصحية بعد أن انقطع عن العمل زمناً طويلاً فعاد إليه بنشاط.

وأذكر أنه كان يشكو الضعف وسوء الهضم من أوائل عهدي بمعرفته أي منذ ثلث قرن وكانت سنه دون الثلاثين، وأن الأطباء كانوا يقولون له: إنه ليس مصاباً بمرض يخشى منه.

وأذكر أنني قلت له مرة: إن هذا الضعف لا سبب له إلَّا الإفراط في الراحة والترف، وأنه لا علاج له بالأدوية، وإنما علاجه في شيء واحد هو أن تحدث لنفسك ما يحملها على التعب الجسدي بالرياضة البدنية العنيفة،

وعلى التعب النفسي والعقلي أيضاً في وقت آخر، وجميع الأطباء يوافقون على هذا الرأي ويقولون به، ولكن الذي يعمل به باختياره من غير باعث نفسي اضطراري أو متكلف بحيث يكون كالاضطراري قليل من الموسرين.

وجملة القول: أن هذا الرجل كان في مجموعة فضائله ومزاياه وجدِّه، وغيرته على الدِّين، وعلمه وعمله، ونأيه عن الهزل واللهو أمة وحده، فهو من نوادر هذا العصر، وشهداء الله وحججه على الخلق، ولا سيما الأغنياء والمتفرنجين في مصر، وإن كان أكثر أغنياء مصر وكذا غيرهم من مسلمي هذا العصر شر من أغنياء سائر الأمم في جهلهم وبخلهم، مع إسراف أكثرهم في شهواتهم.

وأكثر المتفرنجين مصيبة على بلادهم، يزعمون أن التهذيب العصري لا يتفق مع الدِّين، فليأتونا بمثل أحمد تيمور من كبراء ملاحدتهم إن كانوا صادقين؟

كان له ثلاث أبناء نجباء عني بتعليمهم وتربيتهم فاحتسب أكبرهم في حياته لآخرته، وترك اثنان يحيا بهما ذكره من بعده: إسماعيل بك من رجال التشريف في خدمة جلالة ملك مصر كما كان جده وسميه إسماعيل باشا وجد أبيه من قبله في خدمة أبـي جلالته وجده، ومحمود بك الذي فاق أدباء العصر في إنشاء القصص التمثيلية وغير التمثيلية، فنعزيهما بل نعزي الأُمة الإسلامية عنه، وندعو له بالرحمة والرضوان، ولهما بطول البقاء مع طاعة الله، وللأُمة بأن يعوضها عنه بالرجال العاملين المخلصين. وستقيم له جمعية الهداية حفلة تأبين حافلة.

محمد رشيد رضا

خطبٌ عظيمٌ[1]

ترجمة العلامة محمد الخضر حسين للعلامة أحمد تيمور باشا

في الساعة الرابعة من صبيحة يوم السبت ٢٧ ذي القعدة من هذا العام فجع العالم والدِّين والفضيلة بوفاة رجل قلما رأت العين مثله، ذلك هو صاحب السعادة العلاَّمة الكبير أحمد تيمور باشا.

فاجعة قطعت الأكباد حزناً، وأخذت الألباب ذهولاً، فما لي على أن أصف هذا العبقري بما يوفي حقه اليوم من قوة، وما مثلنا وقد بلينا بفقده إلاَّ المدلجون يطلع عليهم القمر ساطعاً فيستبينون به أعلام الطريق رشداً، حتى إذا ازدهتهم طلعته وتدفقت حولهم أشعته توارى بالحجاب فإذا هم مظلمون.

استأثرت المنون بأحمد تيمور فخسرت مصر بل خسر الشرق والغرب عالماً نحريراً، وباحثاً مدققاً، ومثالاً أعلى للخلق الجميل، والأدب الأصيل، تواضع في شمم، وغيرة على الحق لا تكفكفها رغبة

---

(١) «مجلة الهداية الإسلامية» (٩/ ٣٨٤).

في مدح أو حذر من ذم، ينفق في سبيل الخير وهو يكره أن تعلم شماله ما أنفقت يمينه، وإذا اغتبط أهل الدنيا بيسار أو وجاهة أو منصب فأحمد تيمور لا يرى فخراً في غير علمه ودينه وقوة يقينه.

قام طلاب العلم يدعون لإنشاء جمعية الهداية الإسلامية، وشد أزرهم في هذه النهضة كثير من كبار أهل العلم، ولما أنس فيها الفقيد رحمه الله عزماً ورشداً، أخذ يؤازرها ويمدها بما يوطد أملها، ويزيدها نشاطاً على نشاطها، حَتَّى جرى انتخابه عضواً في مجلس إدارتها، فتلقى هذا الانتخاب بارتياح، وجعل يسعى في تقدم الجمعية بما لديه من استطاعة، حتَّى يكون لها في خدمة الإسلام واللغة العربية العمل الجليل، وله بعد هذا في كل جمعية أدبية أو خيرية عارفة.

أكتب هذه الكلمة والأسى يملأ ما بين الجوانح، والقلم من هول مصابه جامح، وسنقضي حق البسط في مزايا الفقيد بمحفلة تأبينه التي أزمعت جمعية الهداية الإسلامية على إقامتها في أَجَل قريب، رحمك الله أيها الهمام المفضال، وطيب ثرى تربتك، وقيض للعلم والفضيلة والتقوى من يقتدي فيها على أثرك.

محمد الخضر حسين

خطاب مدير هذه المجلة[1]

أَهٰذَا الدُّجَى والصُّبْحُ مَا زَالَ خَافِياً ... أَم الصُّبْح وافى حَائِلَ اللونِ داجيا
أُقلّب وجهي في الحَيَاةِ فَلاَ أَرَى ... لَذِيذاً وَكَانَ العَيْشُ بِالأَمسِ زاهياً
حَمَامَةَ وادي النيل راع حُشاشتي ... هتَافُك إِذْ أَرْسَلْتِه اليوم شَاجِيا
سَقَى دَوْحَك الوسميُّ وهْناً[2] فَمَا لَنَا ... نَـرَى غُصْنـه الميـاد اغْبَـر دَاوِيـا
عُذَيْري مِنْ حَاكِي الصَّدَى فَصَرِيرُهُ ... نُعَابُ غُرَابٍ يَقْرَعُ السَّمْعَ جافيا
أصَـاخَ لَـهُ صَحْبِـي فَـأنبَـأ بـالّتي ... تَشِبّ الأَسَى بَيْنَ الجوانح طاغِيا
نَعى عَبْقَرِي الشَّرْق تَيْمُور فَاغْتَدَى ... لِمَعْنَاه قَلْبُ الشَّرْق كَالْقَرْح دَامِيا
حَنَانَيْكَ عَزّ العِلْم وَالْمَجْد وَالْهُدَى ... فَقَدْ كَانَ عَلاّماً مَجِيداً وهَادِياً
تَـرَحَّـلَ بِـالتَّقْـوَى وَأَبْقَـى وَرَاءَهُ ... ثَنَاءً كَنَفْحِ المِسْكِ يَسْطَعُ ذَاكِيا
رَعَى اللّه قَبْراً بَلْ رَعَى اللّه رَوْضَة ... تَبَـوَّأَهَـا مَـنْ كَـانَ لِلْعَهـدِ رَاعِيَـا

سـادتـي:

أقف موقف التأبين لعظيم من أولئك العظماء الذين لا يسمح بهم

---

(١) «مجلة الهداية الإسلامية» لمحمد الخضر حسين (٩/ ٥٠٣ ـ ٥١٠).

(٢) الوهن كالموهن: نصف الليل وما قاربه.

الزمان إلَّا في أوقات نادرة، ليكونوا مُثلاً عالية لكمال الإنسان، حَتَّى إذا قَدَّرَ النبهاء من النَّاس أقدارهم، وأخذوا ينحون في بناء الشرف نحوهم، رحلوا إلى دار السلام عند ربهم، وغادروا القلوب تحترق أسفاً، والأكباد تنقطع تلهفاً.

لا أستطيع أن أرسم في هذا المقام صورة تمثل أو تكاد تمثل كمال الفقيد من كل ناحية، وإنما هي كلمة أصف بها جانباً من خصاله الحميدة، عسى أن يكون في إلقائها تذكرة لطلاب الفضيلة من أبنائنا الناهضين.

في سنة ١٣٤٠ زرتُ المكتبة الزكية وهي في جناح من دار الكتب المصرية، فلقيت هنالك صاحب السعادة أحمد تيمور باشا، فجرى بيننا تعارف وسرعان ما انقلب التعارف وداً، وما برح الود ينمو حَتَّى أخصب وصار الصداقة التي يرتاب في وجودها بعض المتأدبين، ويزعم أنها ثالثة الغول والعنقاء، فإذا تحدثتُ عن شيء من كمال الفقيد، فإنما أتحدث عما كنت أشهده المرة بعد الأخرى، واقرؤه في سريرته سافراً، لا أجد دون قراءته ساتراً.

حياته الخلقية:

تلاقي العلاَّمة الكبير أحمد تيمور باشا، فتشهد طلاقة مُحياً، وابتسامة تملأ ناظريك أُنساً، فإذا مد يده إلى مصافحتك انحنى قليلاً ليخالف عادة المترفين الذين يرفعون رؤوسهم في شيء من التعاظم والخيلاء.

وفي الناس من تجلس إليه ساعة من ليل أَوْ نهار، فلا يلبث أن ينطلق في حديثه إلى شيء من الافتخار بما عنده، **أما تيمور باشا فحرام أن تسمع منه كلمة تومىء إلى فخر ولو من طريق بعيد.**

عُرِفَ الفقيد بالتواضع، وهو الخلق الذي كان يجذب إليه قلوب أهل الفضل لأول ما تقع عليه أبصارهم(١).

وأقول الساعة: إنه كان يتواضع في ألمعية وحكمة، وربما خفض جناح التواضع لذي فطرة سليمة لا يقيم له أولو النعمة وزناً، أكثر مما يخفضه لذي جاه نافذ أَوْ مقام نبيه، وله مع هذا التواضع مقامات يمثل فيها شَمَم العلماء وعزة المؤمنين.

يزدري الفقيد مظاهر الأُبَّهَة التي تهوي إليها أفئدة كثير ممن هم عن طريق الحمد غافلون، وإذا أصبح يؤثر العزلة إلاَّ قليلاً، فإنه ما برح يخوض غمار الاجتماع بما يقدمه من نتائج عرفانه وجلائل إحسانه.

يأخذ الفقيد بسنة الوصل والقطع في الله، ويسير على هذه السُّنة بعزم لا يهن وقدم لا يتزلزل، وأسوق على هذا أنه كان قد اشترك في صحيفة من صحف الأقطار البعيدة عن مصر، فجاءته يوماً تحمل مدحاً له وثناء، لكنها سَمَّتْ في مقال آخر الخروج على الإسلام إصلاحاً

---

(١) يقول أمير البيان شكيب أرسلان في معرض كلام حول أحمد تيمور: «قد عرفت الفقيد العزيز في مصر، يوم مروري بها ذاهباً إلى حرب طرابلس الغرب، وعرفت فيه تلك الرصانة والتؤدة، وذلك الأدب الغض والخلق الطيب الذي يندر مثله في الأرض...» «مجلة الفتح» (٤/ ٧٨٦).

والخارجين عليه مصلحين، فما كان منه إلَّا أن أعادها قاطعاً الاشتراك فيها، وقال: لا حاجة له في مدح صحيفة تطعن في الشريعة الغراء.

عُرِفَ الفقيد بالتؤدة والرَّصانة، ومن أجلى ما يتمثل فيه هذا الخلق العظيم أَنه كان يحتفظ بالآداب القومية، ويأبى أن يستبدل بها آداباً غير شرقية، فما كان ليضع في تاريخ الرسائل إلَّا الشهر العربي والسنة الهجرية؛ ولو كانت الرسائل موجهة إلى شركة أجنبية.

وهذا مثال صغير ينبئكم عما وراءه من الاعتزاز بالقومية، وهل يحتقر الرجل قوميته بأكثر من أن يولع بتقليد قوم آخرين، ويحاكيهم فيما لا مدخل له في علو شأنهم وقوة سلطانهم.

ومن الأخلاق الضائعة في الشرق إلَّا بين طبقة خاصة من الناس، خصلة القيام على الوعد وصيانته من الإخلاف، وكان الفقيد يرعى هذه الخصلة حَقَّ رعايتها فإذا قَطَعَ وعداً في أمر جليل أَوْ حقير، وجد في نفسه مذكراً فطرياً حتى يكون الوعد ناجزاً، ولطول ما صحبناه على هذا الخلق الحازم، لم نرتب فيما إذا عَيَّنَ وقتاً للقاء أن يكون عند الوقت حاضراً.

يرعى الفقيد عهد إخوانه، ويبذل ما استطاع في قضاء ما يهمهم، ولا أنسى أن أمراً اقتضى سفري إلى الإسكندرية، وأشْفَقَ ــ رحمه الله ــ من أن لا أهتدي طريق الوصول إليه فأزمع السفر، ولا داعي له إلى هذا السفر إلَّا عاطفة المودة، وأمتعني بمرافقته ذهاباً وإقامة وإياباً.

يَزِنُ تيمور باشا الرجال كما يزنهم غيره ليعلم أيهم أرجح في

الفضل وزناً، ولكنه لا يضع في جانب ما يفضل به قدر الرجل شيئاً غير العلم وسلامة العقيدة ومكارم الأخلاق، هذا قانون الفضل في رأي الفقيد، واحترامه القلبي والعملي للأشخاص، وإلقاؤه إليهم بالمودة لا يخرج عن حدود هذا القانون.

ينفق الفقيد في وجوه البر بأريحية وبسط راحة، وإذا لم يظهر من إحسانه إلَّا ما يهبه لبعض الجمعيات الخيرية أَو الأدبية، فإن المتواري منها كالذي يسعف به ذوي الحاجات من الأُسر والأفراد شيء كثير، ومن شواهد إخلاصه فيما ينفق أنه كان يهب لبعض الجمعيات الإصلاحية في المرة الواحدة نحو الخمسين ديناراً أَو المائة دينار، وإذا جاءه من تسلم منه المبلغ بإيصال من الجمعية أبى أن يقبله وقال له: مزقه إن شئت، ولا وجه لكتابته فضلاً عن الاحتفاظ به.

في الفقيد صبر جميل، وما هو على الحياة بحريص، كنت أزوره وهو على فراش مرَض خطير، فإذا تجاوزت باب الغرفة مقبلاً، هبَّ على وجهه ابتسام يعقبه تحية، فمحادثته خالية من شكوى المرض أو الضجر من مصابه.

يرتاح الفقيد للطُّرفِ الأدبية، ويوردها في المجلس حسب اقتضاء المقام، ولكنني لم أره يداعب في محادثته قريباً أو صديقاً، فضلاً عمن يلاقونه في أوقات نادرة، ونظره الصائب في هذه الحياة ورسوخ طبيعة الجد في نفسه قد جعلاه لا يألف إلَّا حديثاً في علم أَوْ أدب أَوْ شأن من شؤون الاجتماع، وهما اللذان جعلاه لا يشغل شيئاً من وقته في لهو، ولم

أر قط في منزله نرداً أو شطرنجاً أَو نحوهما من الملاهي التي تأكل عمر المغرم بها أكل النار للهشيم.

يتحدث الفقيد في صوت منخفض هادىء، وهو يملك أن يداري فيبسط وجهاً رحباً، ولساناً بالتحية أَوْ الحديث رطباً، وليس في استطاعته أن يداهن فيقول للمسيء: أحسنت، أو للمخطىء: أصبت، وإذا منعه حياؤه الرقيق من أن يصارح جليسه بالتخطئة في علم أَوْ رأي، فإنه يسلك في تنبيهه على الخطأ طريقة رفيقة بعيدة عن هيأة المعارضة، وليس من شأنها أن تجرَّ إلى مناقشة.

حياته العلمية:

إذا كان نبوغ الرجل في العلم على قدر صفاء قريحته، وحرصه على أن يعلم ما لم يعلم، فحظ الفقيد من هاتين المِزْيتين عظيم.

كان ــ رحمه الله ــ وضيء الفكر، ذا رغبة متناهية في أن يزداد كل يوم علماً، وقد هيأ الله له أن أنشأ تلك المكتبة الحافلة بالكتب القيمة، فلا جرم أن كان العلاَّمة الذي يقف دون شأوه كثير من فرسان البراعة والتحرير.

يطلب فريقٌ العلمَ لليسار، والفقيد محفوف باليسار من قبل أن يطلب العلم. ويطلبه فريقٌ للمنصب، **والفقيد تصافحه المناصب فيسل يده من مصافحتها**. ويطلبه آخرون للمباهاة، وما بين الفقيد والمباهاة مثل ما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع.

إذن لم يطلب تيمور العلم إلاَّ لفضيلته، ومن طلب العلم لفضيلته

يريد أن لا يدع ثمرة من ثمره إلَّا قطفها، ولا زهرة من أزهاره إلَّا تنسمها.

كنت أزوره وهو على فراش مرض أشار عليه الأطباء فيه بالتزام السكون وإراحة الفكر من كل عمل، فأرى بجانب قوارير الأدوية كتباً كثيرة، ويقول لي: إني لا أستطيع الانقطاع عن المطالعة؛ ولكن نظراً لإشارة الطبيب أَقتصر على مطالعة الكتب التي لا تستدعي إجهاد فكر ككتب الأدب والتاريخ.

لا يقنع الفقيد في بحث الموضوعات العلمية حَتَّى يبلغ الأَمد الأَقصى، فيمعن في البحث ويتقصى أثر الموضوع من الكتب التي شأنها التعرض له حَتَّى يلم به من كل ناحية، وهذه مقالات الآثار النبوية التي حررها في «مجلة الهداية الإسلامية»؛ وهي آخر موضوع خاض فيه قلمه الأمين، لم يكتف فيها بما استمده من كتب الحديث والسيرة والتاريخ والأدب، فكان يبعث برسائل إلى سورية وفلسطين وتونس وغيرها من البلاد، ويسأل عما يوجد هنالك مما يُدّعى أنه أثار نبوية، وكان ينقد ما يورده في هذا القصد، ويضعه في الدرجة التي يستحقها بحكم آداب البحث.

يتلقى الفقيد نقد آرائه بأناة وطمأنينة، شأن من يخدم العلم بإخلاص، ولا يهمه إلَّا أن تظهر الحقائق سافرة كما هي، وليس من سمائه ولا أرضه الحرص على أن يعتقد فيه الناس العصمة من الخطأ، وإنَّما هو دأب المرائي في العلم، ينزعج من نقد آرائه فيثور للدفاع

عنها، وإن استيقنت نفسه أنها الباطل مكشراً عن أنيابه تحت وضح البرهان.

عُرِفَ الفقيد بسعة الاطلاع ودقة البحث، فكان كالوادي الخصب ينتجعه الباحثون في الشرق والغرب، فيجدون عنده ما يكشف الحيرة ويجعل النفس في قرار من العلم.

وله بعد أجوبة المسترشدين مقالات علمية كان ينشرها بالصحف: «المؤيد» و «الهلال» و «المقتطف» و «مجلة الزهراء» و «الفتح» و «مجلة المجمع العلمي» و «مجلة الهداية الإسلامية».

أما مؤلفاته فهي:

ذيل طبقات الأطباء.

وتاريخ رجال القرن الثالث عشر والرابع عشر.

ونظرة تاريخية في انتشار المذاهب الأربعة.

وتاريخ الطائفة اليزيدية.

وتاريخ العلم العثماني.

ونقد القسم التاريخي لدائرة معارف فريد وجدي بك.

ولُعَب العرب.

والتصوير عند العرب.

وتراجم المهندسين من العرب.

ومعجم اللغة العامية، والقصد من هذا التأليف الرد على من

يدعون إلى إقامة العامية مقام العربية الفصحى؛ بدعوى أنه يوجد في العامية من الكلمات ما ليس له في اللغة الفصحى من رديف.

ومعجم الفوائد، وهو كتاب يشتمل على مسائل قيمة من علوم شتى.

والبرقيات، وهو كتاب يحتوي على الكلمات التي يدل كل مفرد منها على معان متعددة.

وحياة أبي العلاء المعري وعقيدته.

ومفتاح الخزانة.

يغار الفقيد على اللغة العربية، ويحرص على أن تكون نقية من الألفاظ الأجنبية، وكان من أجل هذا يتحامى أن يضع ولو في رسائله المعتادة كلمة غير عربية فصيحة، فكان يعبر عن التليفون ــ مثلاً ــ بالهاتف، كتب لي من الإسكندرية في الصيف الماضي: «رقم الهاتف (٧٥٧) البلد»، بل يعبر عن الجنيه بالدينار كتب لي من هنالك: «سرني إقامة حفلة لمرور سنة على مجلة الهداية الإسلامية، وأتبرع لهذه الحفلة بعشرة دنانير».

وكان يعجبه أن يكتب كاتب الجمعية أو اللجنة في التوقيع «كاتم السر» بدل كلمة «السكرتير».

للفقيد ــ رحمه الله ــ عناية بالآثار العلمية، فاجتمع في مكتبته من المؤلفات والأوراق المشتملة على خطوط العلماء ما لا أحسبه يوجد في مكتبة شرقية غيرها، وأذكر بهذه المناسبة أني كنت أنهيت نقض كتاب في الشعر الجاهلي بقلم ذي مداد أحمر (كوبيه) ونظمت أبياتاً على لسان

القلم[١]، وكتبتها بنفس القلم وأهديته مع الأبيات إلى المكتبة التيمورية فتلقاها الفقيد بارتياح ووضعها في معرض الآثار العلمية، وقبل وفاته بيوم زار نادي الجمعية ومعه الصحيفة المكتوب بها الأبيات وقد تطاير أكثر حروفها، وأبدى رغبته في أن تعاد بمداد ثابت.

درس الفقيد الشريعة الإسلامية على النحو الذي يجعل لها في النفوس مكانة، فأخذ احترامها بمجامع قلبه، وكانت غيرته عليها بالغة، وهذا ما كان يهز أريحيته لمساعدة الجمعيات والصحف التي يقصد بها تقويم المنحرفين عن الدين الحنيف، وما قَبِلَ أن يكون عضواً في مجلس إدارة جمعية الهداية الإسلامية إلاَّ ليساعدها برأيه وجاهه، كما كان يساعدها بعلمه ونواله.

هذه كلمة تصف شيئاً من كمال المرحوم أحمد تيمور باشا، ألقيها بقلب ملؤه الأسف لفراقه، والإعجاب بسيرته، ونرجو من الله تعالى أن لا يبقي النهضة الإصلاحية كطائر هيض جناحه، أو بطل ضاع سلاحه، وأن يمتع الفقيد بواسع رحمته وحمده، ويجعل نجليه الماجدين قرة أعين أهل الفضل من بعده، والسلام عليكم ورحمة الله.

محمد الخضر حسين

---

(١) وهذه هي:

سَفَكَتْ دَمِي فِي الطِّرْس أَنْمُلُ كَاتِبٍ ... وَطَوَتْنِيَ المِبْرَاةُ إِلَّا مَا تَرَىٰ

نَاضَلْتُ عَنْ حَقٍّ يُحَاوِلُ ذُو هَوَىً ... تَصْوِيرَهُ لِلنَّاس شَيْئاً مُنْكَرَا

لَا تَضْرِبُوا وَجْهَ الثَّرَىٰ بِبَقِيَّةٍ ... مِنِّي كَمَا تُرْمَىٰ النَّوَاةُ وَتُزْدَرَىٰ

فَخَزَانَةُ الأُسْتَاذِ تَيْمُورَ ٱزْدَهَتْ ... بِحِلىً مِنَ العِرْفَانِ تَبْهَرُ مَنْظَرا

فَأَنَا الشَّهِيدُ وَتِلْكَ جَنَّاتُ الهُدَىٰ ... لَا أَبْتَغِي بِسِوَى ذُرَاهَا مَظْهَرَا

أحمد تيمور باشا

بقلم العلامة خير الدين الزركلي
مؤلف كتاب «الأعلام»[1]

الأُسرة التيمورية في مصر، كردية الأصل، قَدِم جدها الأول تيمور بن محمد بن إسماعيل بن علي كرد، من الموصل، في عهد محمد علي باشا الكبير، واتصل به اتصالاً وثيقاً، فكان من قادة جنده ومن كبار ولاته.

وفي عهد المغفور لهُ الخديوي إسماعيل باشا عُرف إسماعيل تيمور باشا بن محمد بن تيمور، والد صاحب الترجمة، بفضل ونُبل، فولي رئاسة الديوان الخديوي، وكان من خاصة صاحب الأمر بمصر.

وقَبْلَ وفاة إسماعيل تيمور باشا، بنحو مائة يوم، ولد لهُ نابغة التيموريين «أحمد» المترجم لهُ.

فهو إذن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن تيمور بن محمد بن إسماعيل بن علي كرد.

---

(١) «مجلة المقتطف» (٧٧/ ١٢٩ ــ ١٣٢).

نشأ أحمد يتيماً، ربَّتَهُ أختهُ الشاعرة الأديبة عائشة عصمتْ وزوجها محمد بك توفيق.

وأدخلاهُ مدرسة «مرسيل» الإفرنسية، فمكث فيها بضع سنين.

وشُغِفَ بآداب العربية فانقطع لها، وشُغِلَ بها عن مواصلة الدرس في المدارس العالية التي كان أترابه ينتقلون إليها بعد تجاوزهم صفوف مدرسة كمرسيل.

فكانت مدرسته بعد ذلك داره، تلقى فيها مبادىء النحو والصرف، والفقه والمنطق، وما يُقرئهُ الشيوخ في ذلك العصر، فدراسته أشبهُ بدراسة الأزهريين اليوم، وقبل اليوم.

وانتهت به هذه الطريق إلى التعرف بشيوخ الأدب العربي وأكابر علمائه من معاصريه، فبعد أن تأدب على يدي الشيخ رضوان بن محمد المخللاتي ناشئاً، وبعد أن لازم الشيخ حسناً الطويل زمناً، تعرف بإمام أهل اللغة الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده، والعلاَّمة الشيخ طاهر الجزائري، فأخذ عنهم واستفاد منهم، واتسعت دائرة جُلاَّسِه، فكان بيته مجمعاً لأهل العلم والأدب من المصريين ونزلاء مصر.

وتَعَلَّمَ التركية وشيئاً من الفارسية، فكان يستعين بهما على الرجوع إلى بعض كتبهما فيما يحتاج إليه من تحقيق كلمة لغوية أَوْ واقعة تاريخية.

ولم أره في اجتماعاتي به ــ رحمه الله ــ يكثر من معاودة

المصـادر الإفـرنسية مع معرفته بهذه اللغة واقتنائه بعض القيِّم من كتبها.

وانصرفت عزيمته في بدء شبابه إلى جمع نفائس الكتب، ثُمَّ كانت تُحمل إليه مخطوطاتها من الآستانة والمغرب والحجاز واليمن والشام والعراق، وازداد غرامه بها، فلم يكن يتصل به نبأ كتاب غريب في الأَدب أَو اللغة أَو التاريخ إلَّا أسرع لشرائه أَو استنساخه أَو نقله بالفوطوغراف[1].

وقد استحضر بالطريقة الأخيرة مجموعة نادرة من محفوظات الخزائن الكبرى في باريس، ورومة وڤينَّة والآستانة وغيرها، اطلعت على بعضها عنده، فتألفت مكتبتهُ التي تُعدُّ بقيمتها العلمية من نظائر دار الكتب المصرية في القاهرة، والمكتبة الظاهرية في دمشق، بل ربما كان

(١) ومن احتفائه بالكتب وسؤاله العظيم عنها ما ذكره في رسالة له إلى أنستانس الكرملي حيث يقول بعد كلام له: «أظن أن السيد جواداً قد سها في ذكره كُتُباً للخيل طبعها الإفرنج، وأرجوه إذا كان متأكداً من ذلك أن يخبرنا عن أماكن طبعها حَتَّى نستجلبها، أو على الأقل عن المكان الذي رآها فيه، أو الشخص الذي رآها عنده، أو أخبره بها لنبحث عنها.
وأذكر أن شيخنا الشنقيطي كان أخبرني أنّه اطلع على «كتاب الخيل» لأبـي عبيدة في خزانة عارف حكمت بك بالمدينة، فرآه أوفى كتاب في الموضوع، وكان يتحرق عليه ويظن نسخته النسخة الوحيدة، وحثني كثيراً على استنساخه، فكلفت إذْ ذاك أحد أمراء الحج وكان من أصدقائي أن يتوسط في ذلك، فلم يتيسر له وبقيت أنا أيضاً متحرقاً عليه إلى الآن». «الرسائل المتبادلة بين تيمور والكرملي» ص ١٣٧.

في الخزانة التيمورية ما ليس في هاتين وأمثالهما من خزائن الشرق العربية.

وليس في القول أنها احتوت خمسة عشر ألف كتاب أَوْ أكثر كبيرُ فائدة في الدلالة على قيمتها؛ لأن الكتب تُقَوَّم بنفاستها لا بعددها.

وما اقتصرت همته على اختيار الكتب وجمعها، كما هو دأب الكثيرين، بل أودعها من علمه وتحقيقه أثراً خالداً، فأثبت في كل كتاب طالعه منها، وما أكثر ما طالع منها، تعليقات وتنبيهات لو جمعت ــ وهي حرية بالجمع ــ لكانت كتاباً جليلاً هو في حسباني من أفضل ما يدل على مبلغ كاتبها من علم بأدب العربية، وتاريخ الأُمم والحضارات الإسلامية.

وكان على ما بين أسرته والبيت المالك من اتصال قديم، بعيداً عن حب المنصب، زاهداً في كراسي الدواوين، وقد وجهت إليه رتبة «باشا»، وعُيِّن عضواً في مجلس الشيوخ، فقبل الرتبة ودخل المجلس، ولكنه ما برح يتلمس الوسائل لخروجه من المجلس محتفظاً بعطف من عَيَّنه إلى أن استقال في هذا العام، وحوّل الساعات التي كان يقضيها فيه إلى جمعية الهداية الإسلامية، وانتُخب عضواً في مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين، وهو أحد مؤسسيها.

أما الأعمال العلمية فكان يُقبل عليها مسروراً، مُنشرح الصدر، فاختير عضواً في مجلس إدارة دار الآثار العربية، وعضواً في المجمع العلمي المصري، وعضواً في المجمع العلمي العربـي بدمشق، فأفاد دار الكتب بتوليه النظر في كثير مما طبعتهُ، ولا سيما الأجزاء التي

صدرت في السنين الأخيرة من كتاب «الأغاني»؛ إِذْ كانت تعرض عليه صفحاتها قبل طبعها، وأمدَّ المجمعين العلميين بكثير من ثمار تنقيبه في متون اللغة والأدب.

وفي مجلة «المجمع العلمي العربـي» من رسائله ومقالاته نموذج عالٍ من اتساع اطِّلاعه ودقّة تحقيقه، نَشَر مثله في كثير من المجلات والصحف، كـ «الزهراء»، و «المقتبس» وغيرهما.

فالمرحوم أحمد تيمور باشا كان أديباً، عالماً بمادة لغته، قديراً على حل مشكلاتها، مُحَقِّقاً لأُصولها، متبحراً في أدبها، واسع الاطلاع على تاريخي العرب والإِسلام، كثير العناية بآثارهما.

وكان من أخص صفاته في البحث والتأليف أنهُ لا يصنّف الكتاب لشهوة التصنيف، ولا يكتب ليقال كتب تيمور، وإِنما يجمع الغريب مع أشباهه، ويضم الشاردة إِلى نظيراتها، ويصيد طرف الموضوع فيقيده في أوراقه، ويترك ذلك كله للزمن، ثُمَّ يعاوده كلما سَنَحَتْ له فيه فكرة أَو اتفق له جديد يتعلق به، لا تتعجله الرغبة في النشر، ولا يرضيه إِخراج الرأي قبل وثوقه بنضجه، فقلَّ لهذا عدد ما طبع من كتبه، وظلَّ جُلُّ ما صنَّفه حبيس خزانته؛ هذا كتاب يَنتظر أن يقع له ما يضيفه إِليه، وتلك رسالة ينقصها جانب من جوانب البحث، وذلك مقال يترقب الظفر بما يحقق رأياً فيه.

ولو تسنَّى لغير تيمور ما تسنَّى له من المراجع، وسعة نطاق العلم في الشؤون التي اختص بها، لطلع على الناس كل يوم بجديد أَوْ شبه جديد، ولكن تيمور كان حريصاً على أن يكون أثره تامّاً وعملُه كامل

التحقيق مستوفي أطراف البحث. هذه حقيقة فيه، من جهلها اتهمهُ بقلة الإنتاج.

وما كانت الرسائل الصغيرة المطبوعة، كـ «قبر السيوطي».

و «اليزيدية ومنشأ نحلتهم».

و «العلم العثماني».

و «الرتب والألقاب».

و «المذاهب الأربعة».

و «تصحيح القاموس».

و «تصحيح لسان العرب»... وأمثالها مما نشر له، بدالَّة على ما وعاه صدره من علم جمّ، وما كتبها لتكون «رسائل» تعرض في صف المصنَّفات، وإنما هي «مقالات» دعت إليها مناسبات، أَو «نبائش» من دفائن التاريخ ضنَّ بها على الطيّ، ولم يرها من الجلالة بحيث تدَّخر ليوم الظفر بمتممات لها فتكون كتباً، فنشرها في إحدى المجلات ـــ وأكثرها في الزهراء ـــ واستُخرجتْ، فطُبع كل منها على حدة، فكانت «رسائل».

أما الكتاب الذي كان يُكثر من تعهُّده وتهذيبه فكتابه «معجم الأَلفاظ العامية المصرية» وما من شكّ في أن بحثاً كهذا يتعذر استقصاؤه، إذ الزيادة فيه كل يوم ممكنة، وما دام مؤلفهُ يستمع إلى العامة جاؤوه في كل حديث بطريف حديث.

ومن كان شأنه كشأن تيمور لا يَعُدُّ الكتاب أهلاً للنشر حَتَّى يعتقد

أَوْ يتغلب على ظنه أنَّه استكمل مادته، لم يعجب منه إذا أنفد العُمرَ فيه مستزيداً كلمة حديثة يضمها إليه أَوْ تفسيراً للفظٍ يأتي عليه.

وقد بَقِيَ «معجمه» هذا مخطوطاً لم يُنشر منه غير أمثلة بعث بها إلى «مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية».

على أن جهوده لم تنحصر في معجمه هذا، بل كان دأبه فيه كدأبه في كتب أخرى، منها:

«أعيان القرن الثالث عشر والرابع عشر للهجرة».

و «ذيل طبقات الأطباء».

و «التصوير عند العرب».

و «حياة المعرّي وعقيدته».

و «الآثار النبوية».

و «معجم الفوائد» وكلها، كما تدل عليه أسماؤها، يعوزها الصبر والبحث.

وكان عليه الرحمة وقوراً، طويل الصمت، فيه تواضع ولين، متجافياً عن الناس، يَعْرض البحث في مجلسه، فإن كان بعيداً عن مكتبته، والكلام في اللغة أَو التاريخ، تريَّثَ لا يقول كلمته إلاَّ معلقةً، مخافة الزلة ـ ولعله به أعلم جلسائه ـ وإن كانت مكتبته تحت متناوَل يده أسرع إليها، فاجتذب كتاباً يحلّ به الغامض أَوْ يوضح الإشكال مما القوم متناقشون فيه.

لم أسمعه ــ وقد جالسته كثيراً ــ يشير إلى بحث كتَبَه أَوْ رأي نشره أَوْ كتاب أَلَّفه[1]، وكنت أحب منه الكرم بما يعلم.

جعلت لنفسي يوماً في الأسبوع أزوره فيه عند الأصيل، فأمكث ساعتين أَو ثلاثاً، أُراجع كتباً أَو أستوفي موضوعاً، فما عرف قصدي حَتَّى كان أسرع مني إلى ما أُرِيد، يَهديني إلى المرجع، وإذا لم يكن الخادم جاءني هو بالكتاب، وما أدعي اختصاصه إياي بهذا، وإنما هو في جوار مكتبته غيره في بعده عنها.

وما زلت أذكرله إلقاءَه بين يديَّ قمطراته ومذكراته يوم بدا له أنني أبحث عن تراجم المتأخرين، وقد عاصر بعضهم وبادلهم الترجمة على طريقة علماء السَلَف، فكانت لي منها فوائد كثيرة لو التمست لها وسيلة أخرى لأعياني تطلُّبها.

---

(١) ومن جميل تواضعه وعدم إطرائه لما كتب ما ذكره العلاَّمة الأديب علي الطنطاوي في «ذكرياته» (١/ ٢٦٢، ٢٦٣) حيث يقول بعد كلام له حول زيارته لمصر ومطبعة السلفية لخاله محب الدِّين الخطيب: «عرفت في السَّلفية جلَّة من رجال العلم والأدب، أحمد تيمور باشا الذي كان في سمو خلقه وفي سهولة طبعه، وفي تواضعه على رفعة قدره، مثلاً للناس، يزور المطبعة كل يوم، فإن كان خالي مشغولاً لم يعطله بل قرأ شيئاً مما يجد، وإن كان فيها زوّار، تحدث إليهم، وكان طويل الصمت، بعيداً عن الإدعاء. كان في المطبعة يوماً جماعة من أهل الفضل يتناظرون في أمر (الطربوش) ما أصله؟ ومن أين جاء؟ والباشا ساكت؛ كأنّه لا يعلم عن الموضوع شيئاً، وكانت المطبعة تدور في الداخل، تطبع رسالة له عن الطربوش تقصى فيها خبره، وجمع تاريخه».
قلت: وقد نشر هذا البحث في «مجلة الزهراء» (٣/ ٢٢ ــ ٣٢).

وفي البُعَدَاء عن مصر من يعرف من فضل تيمور أكثر مما يعرف أهلها، يكتب إليه أحدهم بمباشرته تأليف كتاب أو تحقيق حادث، فلا تصل إليه كلمته حَتَّى ينهض فيختار له من مكتبته مراجع قد تكون معدومة النظير، ويبعث بها إليه مبيناً له مواطن الفائدة فيها.

وكثيراً ما رأيته ينقل بخطه صفحاتٍ من مذكراته أو كتبه ويُرسلها إلى مستعلم أو سائل.

فما عاش تيمور لنفسه ولا لبلده، وإنما عاش للعلم ولكلِ عالم ومتعلم يكاتبه أَو يستعين به.

واتخذ من ثروته معواناً على الخير، إلاَّ أنه كان يختص ببرّه طائفة ممن يعلم فيهم الفاقة أو الحاجة من المستورين.

وكان يتشدد في كتمان ما يلقيه في أيديهم أَوْ يدسُّه في جيوبهم، لا يرضيه أن يعلم به أحد.

رُويتْ لي عنه أخبار من هذا النوع، منها: وضعه ورقة بمئة جنيه في جيب رجل علم أنه في اضطرار إليها، ولما افترقا ورأى الرجل ما أبقته يد تيمور أسرع إليه يريد إعادتها، فأجابه بحزم أنه لا يحب أن يسمع منه أَوْ عن لسانه كلمة بشأنها.

وآخر ما نقل إليَّ أنه في الليلة التي توفي بها كان يفكر في أن يضع عن مستأجري بعض أطيانه شيئاً مما عليهم له، يخفف به ما مسهم من أزمة القطن.

أما حياته في بيته فكان لبنيه الثلاثة: إسماعيل بك، ومحمد بك،

ومحمود بك، أقصى ما يمنح أبٌ أبناءَهُ من حرية، وإنما جعل لهم ذلك بعد أن استوثق من صحة تربيتهم وأخلاقهم.

وتوفيت والدتهم سنة ١٣١٧هـ (١٩٠٠م) بعد عشر سنين من اقترانه بها، فلم يشأ أن ينغّص عليهم عيشهم بغيرها، فعاش بقية عمره منفرداً.

وأراد المرحوم السلطان حسين أن يصاهره فيزوجه بابنة له، فغلب حبُّه لأولاده على حبه لنفسه.

وتوفيت أُخته المربية له ووالدته، في نصف شهر واحد من سنة ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) فكان لفقدهما أثر كبير في نفسه، اشتدَّ بفقده أحد أبنائه المرحوم محمد بك.

وأصيب بمرض في القلب كانت تعاوده نوباته إلى أن توفاه الله بِهِ في جوار مكتبته بالقاهرة.

* * *

نموذج من خط العلامة أحمد تيمور باشا

غير مأمور بترجمة لهما وترجمتي الفاضلين السيد نعمان
الآلوسي ابن المفسر الكبير والسيد محمود شكري الآلوسي
ابقاه الله وبعده براهم جديرين بالترجمة من فضلاء العراق
في القرن الثالث عشر الهجري والرابع عشر وانّي غير مكلّفه
من ذلك الا بما يسهل تناوله عليه لعلمي بكثرة اشغاله
فاكتفي بما حضر وان قلّ ولي في سعة حلمه ما يضمن لي
الغضّ عن هذه الجرأة ابقاه الله ذخرا للعلم والادب.

المخلص

احمد تيمور

المحتويات

الموضوع	الصفحة
أحمد تيمور باشا، وأحمد زكي باشا	٥١
بداية ترجمة رشيد رضا لأحمد تيمور	٥٣
ذكر سنة ميلاده، وشيوخه	٥٤
بداية التعارف بين محمد رشيد رضا، وأحمد تيمور	٥٤
مجلس أحمد تيمور بدرب السعادة	٥٥
جمع أحمد تيمور للكتب، وعنايته بها	٥٥
ذكر طرف من مؤلفات أحمد تيمور	٥٦
عدم ميل أحمد تيمور إلى اللهو وما لا فائدة منه	٥٨
مجالسته للشيخ طاهر الجزائري	٥٩
ذكر بعض ما كان يجري في مجلسه	٥٩
الإشارة إلى معتقده السليم	٦١
ذكر صدقاته السرية	٦٢
خاتمته، وذكر أولاده	٦٣
بداية ترجمة الشيخ محمد خضر الحسين له	٦٥
خطب عظيم	٦٥
حياته الخلقية	٦٨
حياته العلمية	٧٢
ذكر نبذة من مؤلفاته	٧٤
ذكر غيرته على اللغة وحرصه عليها	٧٥
نهاية الترجمة	٧٦
بداية ترجمة العلاّمة خير الدين الزركلي له	٧٧

الموضوع	الصفحة

❑ ❑ ❑

من آثار المحقق

١ ـ كتاب الأوائل، للحافظ أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، المتوفى سنة ٢٨٧هـ، دار الخلفاء الكويت ـ ١٤٠٥هـ.

٢ ـ فضل علم السلف على علم الخلف، للحافظ زين الدين عبد الرحمٰن بن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية بيروت ـ لبنان ١٤١٦هـ.

٣ ـ نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ، لابن عباس، للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية بيروت ـ لبنان ١٤١٤هـ.

٤ ـ تفسير سورة الإخلاص، لابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار الصميعي، الرياض ١٤١٢هـ.

٥ ـ تفسير سورة النصر، للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٢هـ.

٦ ـ زغل العلم للحافظ شمس الدِّين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، مكتبة الصحوة الإسلامية الكويت ١٤٠٤هـ.

٧ ــ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في منهاج البيضاوي، للحافظ العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ، دار البشائر الإسلامية بيروت ــ لبنان ١٤٠٩هـ.

٨ ــ التنقيح في حديث التسبيح (شرح حديث: كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن)، للحافظ ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

٩ ــ تحفة الإخباري بترجمة البخاري، للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

١٠ ــ كتاب الأربعين، للحسن بن سفيان المتوفى سنة ٣٠٣هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٤هـ.

١١ ــ صفحات في ترجمة الإمام السفاريني، (تأليف) دار البشائر الإسلامية بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

١٢ ــ علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان حياته وآثاره، (تأليف) مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ١٤١٥هـ.

١٣ ــ ثلاث تراجم نفيسة للحافظ الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، دار ابن الأثير الكويت ١٤١٥هـ.

١٤ ــ الخطب المنبرية، للعلاَّمة عبد الله بن خلف بن دحيان، بيت التمويل الكويتي، الكويت ١٤١٦هـ.

١٥ ــ نوادر مخطوطات علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ١٤١٦هـ.

١٦ ــ أخصر المختصرات للبلباني مع حاشيته، لابن بدران دار البشائر الإسلامية بيروت ــ لبنان ١٤١٦هـ.

١٧ ــ مشيخة فخر الدِّين ابن البخاري، المتوفى سنة ٦٩٠هـ، (عناية وفهرسة للأحاديث) الكويت ــ الأمانة العامة للأوقاف ١٤١٦هـ.

١٨ ــ أضواء على الحجج الوقفية الأصلية في الأمانة للأوقاف (إعداد)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٦هـ.

١٩ ــ روضة الأروح، لعبد القادر بن بدران الدمشقي ــ الكويت ــ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤١٧هـ.

٢٠ ــ درة الغواص في حكم الذّكاة بالرصاص، لابن بدران الدمشقي، مطبوعة مع الرسالة السابقة.

٢١ ــ علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي، حياته وآثاره (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٧هـ.

❑ ❑ ❑

تصدير

في إطار التوجّه الذي ينتهجه الصندوق الوقفي للثقافة والفكر التابع للأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت نحو رعاية شاملة لنهضة علمية وثقافية، وتنمية فكرية وحضارية تتصل جذورها بتراثنا الحضاري الإسلامي: كاشفة عن خصائصه ومنطلقاته، داعية إلى إحيائه ليعود كما بدأ سفير حضارة، ورائد مسيرة علمية في الشرق والغرب، وأساساً لانطلاقة قوية نحو التقدم والإبداع، ومظلة لتحقيق أماني الكويت والأمة العربية في عطاء علمي وثقافي يحقق المكانة والمكان بين أمم توظف قدراتها وإمكاناتها لدعم الحياة الإنسانية، وتسعى في رحاب العلم والثقافة لتحقيق تنمية شاملة تنصهر في مسارها وتتكامل حكمة الشيوخ وانطلاقة الشباب.

ومن خلال هذا التوجه الطموح كانت عناية الصندوق الوقفي بأعلام المسلمين وعلمائهم الذين كانت حياتهم علامات بارزة ومنارات هادية على الطريق، فأوقفوا حياتهم على مجالس علمية مشهودة، وأنفقوا أموالهم وسنوات عمرهم على الحياة بين مصادر المعرفة ومنابعها، لتكون نفائس الكتب والمخطوطات بين أيديهم، تُجمع لهم من بلدان شتى، وتُنظّم في تصنيفات دقيقة وفهارس متنوعة، حيث هي الجليس المسامر، والصديق الأوفى، والنبع المتدفق، والعطاء الفياض في مسائل الأدب واللغة، والتاريخ والتراث، والفكر والسياسة، والطبيعة والاجتماع، والدنيا والدين.

ولقد كان من هؤلاء الذين لهم ولعٌ بالكتب، وغرامٌ بالاطلاع عليها العلَّامة الأديب أحمد تيمور باشا صاحب أعظم مكتبة خاصة في مصر، لقد كان يختار الجيّد من الكتب والمخطوطات، ويضعها في مكتبته التي يقوم

على العناية بها بنفسه، وذلك بعد أن يقرأها، ويتعرف مواطن النفع فيها، ويتشرب ذوْب العلم وخلاصة الثقافة منها.

وكان ــ رحمه الله ــ من شدة حبّه لها يجعلها حقاً مشاعاً لكل طالب علم يقصدها، وكفل لها في حياته النماء والبقاء بما أوقفه عليها من مال، أما بعد مماته فلقد أوقفها كاملة لتكون منارة علمية يؤمها الهداة المهتدون من علماء العربية وأدبائها. ولا يزال الانتفاع بها مستمرّاً حتى يومنا هذا، وناطقاً بذكره بين تلاميذه ومريديه، وحسن ظني أنه قد صدق فيه قول رسول الله ﷺ: «إذا مَاتَ ابنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

فليكن هذا الكتاب الذي بين أيدينا دعوة لإحياء هذه السنة في حياتنا العلمية والثقافية والفكرية، ولعل لنا في مسلك صاحب هذا الكتاب وفي حياته العلمية ــ حيّاً وميتاً ــ ما يدفعنا إلى اقتفاء أثره، حبّاً في العلم، وإعزازاً لدوره في الحياة، وتيسيراً على طالبيه، وتجاوباً مع الصندوق الوقفي للثقافة والفكر في دعوته إلى إنشاء مثل هذه المشروعات العلمية ووقفها على عامة المسلمين وخاصتهم، «فمن سَنَّ سُنَّةً حسنةً فَلَهُ أَجْرُها وأجْرُ مَنْ عَمِلَ بِها إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

ويطيب لنا أن نتقدم بأخلص الشكر وأوفاه للباحث المدقق الشيخ محمد بن ناصر العَجْمِي الذي تابع ــ كما عودنا من خلال منجزاته السابقة ــ هذا الجهد المتميز اختياراً وبحثاً وإعداداً، ففتح بذلك الطريق أمام سلسلة من الدراسات الذاتية عن أعلام الواقفين للكتب من العرب والمسلمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾.

أ. د. عبدالله يوسف الغنيم

رئيس مجلس إدارة الصندوق الوقفي للثقافة والفكر

١/٦/١٤١٧هـ = ١٣/١٠/١٩٩٦م

تَقْدِيمٌ بِقَلَمِ
الدّكتور شاكر الفحّام

كان الأستاذ العلامة أحمد تيمور باشا (١٨٧١م ـ ١٩٣٠م) من أكابر علماء العصر. أحبَّ العربية الحبَّ الجمّ، وقرأ على أئمتها وفي مقدمتهم الأستاذ الإمام محمد عبده، والأستاذ محمد محمود التركزي الشنقيطي. وشغف قلبه التراث العربي بنفائسه وكنوزه، فراح يبحث وينقّر عن مكنوناته، وأنفق ما أنفق بسخاء حتى اكتملت له مكتبة من المخطوطات النوادر وقفها من بعدُ على الباحثين والدارسين.

أكبَّ على الدرس والبحث دون كلال، وجمع من الفوائد والفرائد ما نسقه كتباً ومقالاتٍ غميسة. وكان كثير التدقيق لا يتعجل، ويتعقب الفائدة تلو الفائدة يلتقطها من تلك المطالعات الواسعة في بطون الكتب والمخطوطات. ولما انتقل إلى جوار ربه ورضوانه، كانت جملة طيبة من مؤلفاته ما زالت مخطوطات لم تر النور بعدُ، فتنادى محبوه وعارفو فضله لنشرها، فأحسنوا بذلك الإحسان كله.

لقد كان عظيماً من عظماء العصر، جمع إلى العلم والمعرفة الخلق الكريم والسجايا الحميدة، والتواضع المحبّب. وكان يسرع إلى تلبية مَنْ يطلبُ عونه، ويقدّم بالرضا والارتياح، من المصادر والمراجع النادرة، ما يسعف الباحثين والدارسين ليؤدوا للعربية وعلومها خير ما عندهم، فتعلقت القلوبُ بحبه، وأجلّه إخوانه وأصدقاؤه، وأحلّوه بينهم المكانة الرفيعة. ولما فارق دنيانا إلى الخلود أحسّ عارفوه جسامة ما نزل به، وتتابعوا يتحدثون عنه، ويعدّدون مناقبه ومآثره في مقالاتهم وخطبهم، إكباراً له وتقديراً للمنزلة التي كانت له في نفوسهم.

والتحدثُ عن العلماء وذكرُ سِيَرهم أمر له شأنه وخطره في حياة الأمة

الثقافية، ومسيرتها الحضارية. وقد عُني أسلافنا العرب أتمَّ عناية بتراجم العلماء، وألفوا في ذلك التآليف المختلفة التي تحفظ مآثرهم وتشيد بأعمالهم، وتُلَبِّي مطالب الأجيال اللاحقة التي تتطلع إلى معرفةِ الماضي الحضاري بكل جوانبه، وتتبُّعِ ما صنع الأجداد لتوثيق الصلة بين الحاضر والماضي، استشرافاً للمستقبل الواعد.

وتمسكاً بهذه السُنّة الحميدة فقد نهض الأستاذ محمد بن ناصر العجمي بجمع طائفة من المقالات التي كتبها أصدقاء الفقيد تيمور وخلطاؤه الذين عرفوه أحسن المعرفة، وخبروه في جميع مواقفه، وكانوا ألصق الناس به، فقام بطبعها تعريفاً بقدر الأستاذ الكبير، ثم علق عليها تعليقات نافعة مفيدة، فقدّم بذلك خدمة جليلة للأجيال الناشئة التي يحسن أن تعرف ما فعل الأجداد وما قدّموا ليعود للأرض العربية خصبها، ونماء نتاجها.

وإني لآمل، وقد نهض الأستاذ العجمي بعمله على خير وجه، أن يجعله توطئة وتمهيداً لعمل ثان يكمل الأول، هو دراسة آثار الرجل العظيم، بعد أن طُبع أكثرها، وصارت في متناول الطالبين، لتتجلى صورته واضحة القسمات، بيّنة السمات، تفصح عن صاحبها بأجلى بيان، وتكشف عما قام به في سبيل العربية وازدهارها.

وللأستاذ العجمي سابقة طيبة في الترجمة للعلماء، وتوفيتهم حقهم من التجلّة والتقدير. جزاه الله خير الجزاء عما قدّم، وسدّد خطاه في النهج الذي ارتضاه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾.

الدكتور شاكر الفحّام

رئيس مجمع اللغة العربيّة بدمشق

١/٦/١٤١٧هـ = ١٣/١٠/١٩٩٦م